



الجمهورية التونسية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة منوبة
كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة



رسالة الماجستير بحث في التراث

عادات وطقوس الاحتفال في الأعياد والمناسبات الاجتماعية بجهة باجة وأحوازها دراسة تاريخية وتراثية وفنية

إشراف الأستاذة: عواطف منصور

إعداد الطالب: حاتم الرياحي

السنة الجامعية: 2023-2024

شكر وتقدير

إن كان الشكر عنوانا للاعتراف بالجميل فإنني لا أخاله يكون إلا للأستاذة عواطف منصور المشرفة على هذا البحث التي أطرتني وساعدتني كثيرا في كافة مراحل العمل وكانت لي خير سند في تجربة البحث وذلك من خلال النصح والتوجيه والتصحيح.

كما أتوجه بجزيل الشكر لكل من قدم لي يد المساعدة وأخص بالذكر رؤساء جمعيات صيانة المدن والجمعيات الناشطة في مجال التراث بجهة باجة و أحوازها خاصة باجة المدينة ونفزة وتستور ومجاز الباب و تبرسق.

الإهداء

إلى روح والدي العزيز،

إلى والدتي الحبيبة،

اللذان لولاهما لما كنت أنا.

إلى زوجتي، التي كانت لي خير سند في كافة مراحل البحث.

إلى أبنائي الأعزاء،

إلى أختي،

أهدي لكم جميعاً هذا البحث المتواضع.

مقدمة عامة

تطور مفهوم التراث بعد الاتفاقيات الدولية التي أقرتها اليونسكو ليعرف على أنه " كل ما خلفته الحضارات أو تركته الأجيال السابقة وتم تقسيمه إلى أنواع حسب خصوصيات كل مجتمع وينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام وهي أولا نجد التراث المادي أو التراث الثابت وأبرزها المواقع التاريخية والمعالم والمباني الأثرية وما تكشفه الحفريات وما تتضمنه كذلك المتاحف من قطع ولقى أثرية متنوعة. وثانيا نجد التراث الفكري وهو ما يقدمه السابقون من علماء وكتاب ومفكرين وقادة سياسيين كانوا شهودا على عصورهم ومبدعين من خلالها. وثالثا نذكر التراث غير المادي ويتمثل في قواعد السلوك والعادات والتقاليد المجتمعية والفنون والحرف الشعبية واللهجات والأمثال الشعبية.

"عادات وطقوس الاحتفال في الأعياد والمناسبات الاجتماعية بجهة باجة وأحوازها" هو بحث في التراث وبالتحديد في مجال التراث الثقافي غير المادي من خلال جهة باجة وأحوازها. ويتناول البحث بالدراسة مدى تأثير جهة باجة وأحوازها بالموروث الحضاري الأندلسي في عدة مجالات تراثية خاصة طقوس الاحتفال في الأعياد والمناسبات الاجتماعية الهامة (ومنها الأعياد الدينية).

وسنقوم بالتركيز في البحث على عدة محاور أساسية في علاقة تكامل وتفاعل فيما بينها أولها ضرورة تثمين التراث غير المادي وبصفة خاصة العادات والتقاليد في التراث الغذائي واللباس من خلال عدة أبعاد كالتعريف والتخصيص والتبويب والتصنيف، وثانيها أهمية حفظ هذا التراث غير المادي في جهة باجة وأحوازها والعمل على مشروع بعث متحف للعادات والتقاليد الشعبية في المدينة يمكن أن يحتوي عديد المعروضات التي تهم العادات والتقاليد والإشعاع على بقية المدن المجاورة خاصة ذات الطابع الأندلسي وبالتالي تحقيق عديد الأهداف الهامة والمتنوعة سواء ذات البعد التراثي والتاريخي أو كذلك توظيف هذا الموروث الهام في التنمية وإدماج في المسلك السياحي للمدينة والجهة ككل وتحقيق غايات التنمية المستدامة وهي المحافظة على تراث الأجداد وضمان إيصاله للأجيال القادمة وتحقيق الديمومة. في هذا البحث، سيتم التركيز كذلك على العلاقة بين التراث غير المادي بجهة باجة وأحوازها والسياحة الثقافية بدرجة أولى وعلاقتهما بالتنمية في أبعادهما المتعددة. كما سنتناول موضوع هام جدا وهو الرقمنة من خلال إعداد منصة رقمية خاصة بالعادات والتقاليد ويتم تحيينها بصفة مستمرة ومزيد إثراءها بالمستجدات في هذا المجال الهام من التراث عموما. وبالتالي يتم توظيف تقنيات ووسائل الاتصال الحديثة في دراسة التراث غير المادي والمساهمة في الحفظ والصون والتثمين وضمان الديمومة المستقبلية. كما سنتناول أهم طقوس الاحتفال في الأعياد الهامة والمناسبات ورصد أهم التغييرات الحاصلة

إشكالية البحث

دراسة تراثية لعادات وتقاليد وطقوس الاحتفال في المناسبات على اختلافها (الدينية، الاجتماعية، ...) بجهة باجة وأحوازها ومقارنتها بين الأمس واليوم: فيما تتمثل المُدونة التراثية من العادات والتقاليد والطقوس الاحتفالية بجهة باجة وأحوازها؟ وإلى أي مدى حافظ السكان على هذه الممارسات الاجتماعية الموروثة جيلا بعد جيل في الاحتفالات والمناسبات على اختلافها؟ وفي حال تغيّرت، ما الذي ساهم في ذلك؟

دواعي إختيار الموضوع

• الدوافع الذاتية:

لئن تعددت الدوافع الذاتية فإن أبرزها هو الاستفادة من الاستقرار والعمل كأستاذ تاريخ وجغرافيا بجهة باجة متنقلا بين عدة مدن ذات علاقة بموضوع البحث. بالإضافة إلى توظيف المعارف والمكتسبات التي تلقيتها في سنوات الدراسة الجامعية وخاصة في مجال علوم التراث سواء في مجال التراث الثقافي غير المادي أو علم المتاحف وعلاقتها بالسياحة الثقافية والتنمية عموما. كذلك أيضا الرغبة في دراسة التأثيرات الأندلسية في التراث غير المادي للمدن التونسية ومن خلال طقوس الاحتفال في الأعياد والمناسبات بجهة باجة وأحوازها ورصد أهم التغيرات الحاصلة بها، إلى جانب توظيف المهارات الخاصة في مجال الذكاء الاصطناعي للمساهمة في إنجاز منصة رقمية ومتحف خاص بالعادات والتقاليد بجهة باجة وأحوازها. ووجود الوعي الذاتي بأهمية المساهمة في إبراز وتنشيط التراث الثقافي بجهة باجة وأحوازها.

• الدوافع الموضوعية:

تعددت الدوافع الموضوعية للبحث ومن أهمها التعرف على أهم مكونات التراث غير المادي للبلاد التونسية بصفة عامة وجهة باجة وأحوازها بصفة خاصة. أيضا محاولة دراسة طقوس الاحتفال والعادات والتقاليد في جهة باجة وأحوازها قصد صونه وتنميته وإحياءه وتوظيفه في السياحة الثقافية والتنمية المستدامة للجهة. وكذلك محاولة التعرف على طقوس الاحتفال المميزة للأعياد والمناسبات والمعارف والمهارات والتقاليد الشفوية المرتبطة به في جهة باجة وأحوازها. هذا إلى جانب التفكير في إحداث متحف افتراضي يشمل العادات والتقاليد الخاصة بالجهة المدروسة وما يرتبط بها لحفظ جزء من التراث غير المادي المرتبط أساسا بالتراث الغذائي واللباس والتراث الشفوي المميز وضرورة توظيف هذا المتحف كنواة أساسية في المسلك السياحي.

منهج البحث

لقد حاولنا الاعتماد في هذا العمل على عدة منهجيات في البحث: المنهج الاثنوجرافي وذلك من خلال الجمع الميداني والعيني من خلال المقابلات، الملاحظة والمشاركة وكذلك سوف نعتمد أيضا المنهج التاريخي والاستقرائي لإثراء وتعميق المعلومات التي سنقوم بجمعها من الرواة والإخباريين والسكان والمراوحة بينها.

أهداف البحث

يهدف مشروع بحثنا المقدم للحصول على شهادة الماجستير إلى دراسة جانب مهم من التراث الثقافي غير المادي بجهة باجة واحوازاها (التثمين والصون والرقمنة) وذلك من خلال التعرف على هذا التراث الثري والذي له روافد تاريخية وثقافية مهمة ستتجلى في البحث. وكذلك التعرف على مجمل العادات والتقاليد والطقوس.

هذا إلى جانب التعرف على الكنوز البشرية الحيّة التي تقوم على حفظ وصون هذه الثقافة الحيّة والحفظ والرقمنة من خلال بعث مشروع متحف رقمي يساهم في التعريف بهذه التراث (إبراز دور متحف العادات والتقاليد الشعبية بجهة باجة واحوازاها في ديمومة التراث). وكذلك تحديد كيفية مساهمة التراث غير المادي في إنعاش السياحة الثقافية وبناء الحضارة الإنسانية عموما (الربط بين التراث الثقافي غير المادي والسياحة والتنمية المستدامة بجهة باجة واحوازاها) ومحاولة تحديد وتبويب وتصنيف وتثمين جزء هام من التراث غير المادي في المجال المدروس.

التخطيط

حاولنا التطرق إلى بمختلف جوانب موضوع البحث " عادات وطقوس الاحتفال في الأعياد والمناسبات الاجتماعية بجهة باجة وأحوازاها " فاعتمدنا تخطيط يشمل ثلاثة فصول متوازنة.

يتناول الفصل الأول بالدراسة الإطار التاريخي والجغرافي والمفاهيمي لجهة باجة وأحوازاها والذي قسمناه الى ثلاثة أبواب. ففي الباب الأول تطرقنا إلى الإطار التاريخي وفي الباب الثاني الإطار الجغرافي أما الباب الثالث فتم تخصيصه للإطار المفاهيمي الخاص بموضوع البحث.

أما في الفصل الثاني فقد تعرضنا إلى عادات وطقوس الاحتفال في الأعياد والمناسبات الاجتماعية بجهة باجة وأحوازها.

بينما يتناول الفصل الثاني عادات وطقوس الاحتفال في الأعياد والمناسبات الاجتماعية لجهة باجة وأحوازها والذي قسمناه إلى ثلاثة أبواب. ففي الباب الأول تناولنا عادات وطقوس الاحتفال في الأعياد والمناسبات الدينية بجهة باجة وأحوازها وفي الباب الثاني عادات وطقوس الاحتفال في المناسبات الاجتماعية. أما الباب الثالث فتم تخصيصه عادات وطقوس الاحتفال في المناسبات الفلاحية.

وأخيرا، يتناول الفصل الثالث بالدراسة الثابت والمتغير والمشاركات في التراث الغذائي واللباس والتراث الشفوي بجهة باجة وأحوازها والذي قسمناه إلى ثلاثة أبواب. ففي الباب الأول تناولنا الثابت والمتغير والمشاركات في التراث الغذائي بجهة باجة وأحوازها وفي الباب الثاني الثابت والمتغير والمشاركات في اللباس أما الباب الثالث فتم تخصيصه الثابت والمتغير والمشاركات في التراث الشفوي.

الدراسات السابقة

(بصدد البحث المعق)

صعوبات البحث

لئن تعددت الصعوبات المتعلقة بإنجاز البحث فإن أهمها ندرة البحوث والدراسات حول الموضوع خاصة عادات وطقوس الاحتفال في الأعياد والمناسبات الاجتماعية بجهة باجة وأحوازها. وكذلك صعوبة ناجمة عن تحفظ كبار السن وإعطائنا المعلومات وكذلك التحفظ الشديد بالإجابة أو الكلام والاحتياط مما استلزم جهد لإقناعهم بطبيعة البحث والهدف العلمي للدراسة بدليل عدم تسجيلنا للأسماء فكان بذلك التفهم والتعاون معنا لإنجاز بحثنا.

المراجع والمصادر المعتمدة

حاولنا الاعتماد واستغلال عديد المراجع والمصادر باللغة العربية أو اللغات الاجنبية في كل أبواب البحث ومن أهمها :

أولا ، في الاطار التاريخي للبحث ولتنزيل العمل في إطاره وفهم أهم المراحل التاريخية و رصد أهم التحولات للبلاد التونسية عموما وخاصة مجال البحث (جهة باجة و أحوازها) تم التركيز خاصة كتاب " إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان" لأحمد ابن أبي الضياف خاصة ،الجزء الثاني ، تونس، 1990 و كذلك كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الافاق " لأبي عبد الله بن محمد بن عبد الله الادريسي المجلد الاول ، بيروت ، لبنان ، 1989

و كتاب " المؤنس في أخبار إفريقية وتونس" لأبي عبد الله محمد ابن أبي دينار ،سلسلة من تراثنا الاسلامي ، 1967 .وأيضا كتاب "المشهد المورسكي " لحسام الدين شاشية ،مركز البحوث والتواصل المعرفي ، الرياض، المملكة العربية السعودية ، 2023 و أيضا كتاب "تاريخ افريقيا الشمالية " لأندرية جوليان شارل تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر وكتاب أحمد السعداوي باللغة الفرنسية " Testour du XVII ème au XIX ème siècle ,Fac de Lettres « Voyages de monsieur Shaw dans plusieurs Mannouba,1996.

provinces » Paris,1830

ثانيا ، في الاطار الجغرافي للبحث وللتعرف على أهم الخصائص الطبيعية و خصوصيات التموقع لجهة باجة وأحوازها تم الاعتماد على عديد الكتب خاصة كتاب " مواقع تونسية "المنجي بورقو ، سلسلة نقوش عربية ، تونس،2015 .

ثالثا ، في الاطار المفاهيمي للبحث ولتحديد وتفسير أهم المصطلحات تم الاعتماد خاصة على كتاب " صون التراث الثقافي غير المادي لأحمد علي مرسى ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، 2013 وكتاب " التراث والتجديد : موقفنا من التراث القديم " ، لحسن حنفي ، هنداوي ، المملكة المتحدة ، 2017 . وايضا تعريفات الاتفاقيات الدولية في مجال صون التراث الثقافي غير المادي لليونسكو و المنظمة الدولية للسياحة .

رابعا ، في تحليل و تفسير العادات وطقوس الاحتفال في الأعياد الدينية والمناسبات الاجتماعية بجهة باجة وأحوازها خاصة المتعلقة بالتراث الغذائي و اللباس والتراث الشفوي و الممارسات الاجتماعية اعتمدنا عديد المراجع والمصادر (باللغة العربية واللغات الأجنبية) أهمها كتاب " الاغاني التونسية" للصادق الرزقي ، دار سحر للنشر ، تونس ، 2019 وكتاب " العادات والتقاليد التونسية " لمحمد الحشايشي ، دار سيراس للنشر ، تونس ، 1994 وكتاب التقاليد والعادات التونسية" لعثمان الكعك ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1987 وكتاب " مائدة افريقية :دراسة في الوان الطعام " لسهام الدبابي الميساوي ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة) تونس ، 2017 وكتاب "الطعام والشراب في التراث العربي " كلية الآداب منوبة 2008 وأيضا كتاب " " الولادة في تونس : الطقوس والرموز " لنفس المؤلف ، دار الجنوب للنشر، تونس ، 2021.

الفصل الأول:

الإطار التاريخي والجغرافي والمفاهيمي

لجهة باجة وأحوازها

I. الإطار التاريخي والجغرافي والمفاهيمي

مقدمة الفصل

يعود أصل تسمية باجة إلى اللغة العربية وهي مأخوذة من التسمية القديمة للمدينة "فاقا" باللغة اللاتينية والتي تعني " البقرة الحلوب" و " سنابل القمح" خاصة وأنه في إحدى الفترات التاريخية كان يسمونها العرب "باجة القمح" وهي من المدن التونسية الضاربة في القدم والتي تعاقبت عليها عديد الحضارات الإنسانية الهامة ارتباطا بموقعها الاستراتيجي الهام وأهمية ثرواتها الطبيعية خاصة الفلاحية منها

أما الحضور البشري في باجة فهو قديم جدا اعتمادا على الشواهد والمعالم التاريخية.

وتعتبر مدينة باجة من أهم المدن التي تم ذكرها من طرف الرحالة و المؤرخين العرب المسلمين والمستشرقين رغم التشابه الكبير أحيانا في الوصف الدقيق والارتباط أساسا بسنابل القمح و الشعير ووفرة المياه¹ أما جغرافيا ، فتتميز جهة باجة وأحوازاها بعديد الخصائص الطبيعية المتباينة أحيانا على مستوى التضاريس المتنوعة والموارد الطبيعة المتعددة و المعدلات السنوية

للتساقطات والحرارة .

أما من ناحية مصطلحات البحث أو الإطار المفاهيمي فقد تعددت التعريفات المرتبطة بالتراث وخاصة التراث غير المادي وما يرتبط به من عادات وطقوس الاحتفال في الاعياد والمناسبات الاجتماعية .

1. الإطار التاريخي

تعاقبت على جهة باجة وأحوازاها عديد المراحل التاريخية الهامة ولعل الشواهد التاريخية والمعالم الأثرية اليوم أكبر دليل على عراقية المكان و قدم الحضور البشري بالجهة ككل رغم بعض التباينات من منطقة الى أخرى. وسوف نحاول تحديد أهم الحقب التاريخية للجهة من الفترة القديمة الى الفترة المعاصرة مروراً بالفترة الوسيطة والحديثة .

1.1. العصور القديمة

تشير عديد الشواهد التاريخية القديمة على أهمية هاته الفترة من تاريخ باجة وخاصة منها المعالم الأثرية المرتبطة بالحضور البشري الأول مثل " الحوانت" وهي عبارة على قبور منحوتة على الصخور (120قبرا) تم إكتشافها في نهاية القرن 19 م (1883) من قبل فنسان Vincent وتوجد في منطقة الفوار وقد أولى القرطاجيون هذا ، وتتميز جهة باجة بالأهمية القصوى بسبب خصوبة أراضيها الزراعية فقد تم ربطها بطريقين هامين بكل من قرطاج و طبرقة.

ولأسباب استراتيجية بالأساس فقد تم تركيز قاعدة عسكرية هامة ذات الأسوار والأبراج الهامة .كما أدرك الرومان بعد ذلك الأهمية الكبرى لباجة فتم ترميم عديد المعالم الهامة مثل القسبة والأسوار وقد شيد

¹بورقو (منجي) : مواقع تونسية ، سلسلة نقوش عربية ، تونس، 2015، ص 39.

الإمبراطور "تراينوس" جسرا هاما على وادي باجة في بداية القرن 2 ميلادي. لكن وكبقية المدن الاخرى ، فقد تم تخريب عديد المناطق الواقعة في جهة باجة من طرف الوندال .

2.1. عهد الولاة :

بدأ الحضور العربي الإسلامي في جهة باجة مع القائد العربي المعبد بن العباس الذي فتح باجة سنة 32 هجري فحلت عديد القبائل العربية خاصة من بني سعد وقريش وربيعة وقضاعة² حيث يقول الفلقشندي " إن قبيلة بني سعد التي تربي فيها الرسول(ص) قد انتشرت في كل مكان وإن فريقا منها كان في عصره ساكنا بباجة إفريقية إلى جانب الجند العباسي"

3.1. العهد الأغلبي :

تميز العهد الأغلبي بالاهتمام كثيرا بباجة رغبة في استرجاع مكانتها الهامة على المستوى الاقتصادي خاصة في عهد إبراهيم بن الأغلب (800-812 م) ثم ابنه عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب (812-817 م) حتى أصبحت باجة تمثل عاصمة الجهة ككل (الممتدة من طبرقة الى شرق الكاف) ثم ازدهرت باجة في هاته المرحلة بصفة جلية على المستوى الفلاحي فتضاعف انتاج الحبوب والثمار الاخرى . كما شهدت جهة باجة عموما ازدهارا عمرانيا هاما تزامن مع الازدهار الاقتصادي فتعددت الترميمات الهامة خاصة المعالم الدينية مثل الجوامع والمعالم السياسية والعسكرية كالقصبية والاسوار و المعالم المدنية مثل الحمامات والاسواق (أهمية النشاط التجاري) . اما على المستوى الثقافي والحضاري فقد تميزت العهد الأغلبي ببروز عديد والعلماء القضاة و رجال الفقه و الدين و الأدب أبرزهم سليمان بن عمران (توفي سنة 270 هـ) وبن كحالة وابن عيشون وهما من تلامذة الإمام سحنون.

ويقول اليعقوبي (توفي سنة 897م) في حديثه عن باجة في القرن 9 م " ... ومدينة باجة مدينة كبيرة ، عليها سور حجارة قديم .وبها قوم من جند بني هاشم وقوم من العجم ويلى مدينة باجة قوم من البربر يقال لهم وزداجة ، لا يؤذون الى ابن الأغلب طاعة "

² - ابن خلدون (عبد الرحمان) : العبر ، ج 1 ، الطبعة الاولى ، دار يعرب ،دمشق ، سوريا ، 2004 ، ص 345 .

4.1. العهد الفاطمي :

إهتم الفاطميون منذ سنة 909 م مجددا بجهة باجة التي عرفت تطورا معماريا هاما فتعددت الترميمات حيث ذكر البكري في المسالك " فيها حمامات مأوها من العيون وفنادق كثيرة وهي دائمة الدجن والغيم ،كثيرة الأمطار والأنداء وحولها بساتين عظيمة ترد فيها المياه

أرضها سوداء مشقة تجود فيها جميع الزروع وبها حمص وفول قلما يوجد مثله ... وبها حوت بوري ليس في الافاق له نظير ، يخرج من الواحد عشرة أرطال شحم وكان يحمل إلى عبيد الله حوتها في العسل فيحفظه حتى يصل طريا"³

كما ورد ذكر جهة باجة في نص ابن حوقل (توفي سنة 977م) : " صحيحة الهواء ،كثيرة الرخاء، واسعة الفضاء، غزيرة الدخل على السلطان ، وافرة الأرباح على تجارها والمزارعين بها ... " عموما، حافظت جهة باجة على أهميتها ومكانتها الثقافية البارزة حيث قال ابن الفرضي : " كانت باجة كعبة تجلب الوفود حتى من الأندلس"⁴

ومن أبرز العلماء محمد بن أبي سعيد وعبد الله بن فطيس وعلي بن الصباغ ومحمد بن عبد الملك اللخمي وآخرون الذين درسوا بالجامع الكبير بباجة في أواسط القرن 10م.

5.1. العهد الصنهاجي :

تضررت جهة باجة في العهد الصنهاجي بهجوم حماد سنة 1014 م فخضعت للحماديين منذ ولاية الناصر بن علاء سنة 1063 م إلى حدود سنة 1152 م.

كان الزحف الهلالي بعد ذلك ، فتضررت الأراضي الزراعية حتى لاحظ الشريف الإدريسي (توفي سنة 1165م) أنه " ليس لها في خراجها عود ثابت إلا فحوص ومزارع ..."⁵

وقد أشار البكري (توفي 1094م) في بعض النصوص ، وخاصة المتعلقة بباجة في النصف الثاني من القرن 11م ، أنها " مدينة كبيرة ، كثيرة الأنهار ، وهي على جبل يسمى عين الشمس في هيئة الطيلسان، فيها عيون الماء العذب، ومن تلك العيون عين تعرف بعين الشمس ، وهي تحت سور المدينة ، والباب هناك ينسب إليها ولها أبواب غير هذا.

³ - البكري (ابو عبيد) : المسالك والممالك ، بيت الحكمة، تونس ، 1992 ، ص 36.

⁴ - ابن الفرضي (عبد الله): تاريخ علماء الاندلس، ج1، ط2 ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان، 1990، ص 131.

⁵ - البكري (أبو عبيد) : نزهة المشتاق ، تحقيق محمد الحاج صادق ، باريس ، فرنسا ، 1983 ، ص 164 .

وفي داخل الحصن عين أخرى عذبة غزيرة وحصنها أولي مبني بالصخر الجليل أتقن بناء ، يقال : إنه من عهد عيسى - عليه السلام - ولها ربض كبير في شرقي الحصن ، وسور الحصن مما يلي الربض مهديم وبها جامع متقن البناء ، قبلته سور المدينة . وفيها خمسة حمامات مأوها من العيون وفنادقها كثيرة وبها ثلاث رحاب لبيع الأطعمة وعيون خارجها لا تحصى كثرة ، ولها نهر من جهة المشرق جار من الجوف الى القبلة على ثلاثة أميال منها ، وحولها بساتين عظيمة ترد فيها المياه وأرضها سوداء متشققة تجود فيها الزروع ، وبها حمص وفول قلما يرى مثله ، وتسمى هري إفريقية لريع زرعها وكثرة رباعها وهي خصبة ، لينة الأسعار ، أمحلت البلاد أو أخصبت .

وإذا كانت أسعار القيروان نازلة لم يكن للحنطة بها قيمة ، ويردها كل يوم من الدواب والابل العدد العظيم ، الألف وأكثر ، لنقل القمح ، فلا يؤثر ذلك في سعرها لكثرة خيرها .

6.1. العهد الموحي:

تميزت جهة باجة في العهد الموحي بكثرة الحملات العسكرية المتعاقبة أهمها حملة الأمير الموحي عبد المؤمن بن علي سنة 1155م .

ثم تميزت جهة باجة بعد ذلك بنوع من الاستقرار بعد تدخل الخليفة الموحي محمد الناصر بن يعقوب المنصور سنة 1207م وذلك في إطار توحيد إفريقية والمغربين الأوسط والأقصى بمساعدة أبي محمد عبد الرحمان بن أبي حفص الهنتاتي.

وقد أشار الإدريسي (توفي 1165 م) في حديثه عن جهة باجة في منتصف القرن 12 م أنه " وعلى بعض الطريق من طبرقة على تونس مدينة باجة ، وهي مدينة حسنة في وطاء الأرض ، كثيرة القمح والشعير ، ولها من غلات ذلك ما ليس بالمغرب مثله كثرة وجودة في المواضع المضاهية لباجة وهي صحيحة الهواء، كثيرة الرخاء ، واسعة الدخل على واليها ، والعرب مالكة لخراج قطرها ومتصل أرضها وبها عين في وسطها ينزل إليها بأدراج ، ومنها شرب أهلها ، وليس لها في خراجها عود ثابت الا فحوص ومزارع "

7.1. العهد الحفصي :

يعتبر العهد الحفصي عهد الازدهار والتطور والرقى بجهة باجة على جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية و الثقافية فقد شهدت الجهة ككل ازدهارا هاما في الطور الأول من العهد الحفصي ومثلت مركزا حضاريا واقتصاديا هاما .

لكن سرعان ما تحول ذلك الى ضعف وتدهور حسب العبدري سنة 1289م في نهاية القرن 13 ميلادي حيث أصبحت " مدينة جرعها الدهر أجاجة ، قد هتكتها الأيادي العادية و فتكت فيها الخطوب المتמادية حتى صارت وهي حاضرة بادية، فخشوعها لائح وضراعتها بادية ، وقد حدثت بها أن أهلها لا يفارقون السور خوفا من العربان وأنهم يستعدون لدفن الجنائز كما يستعدون ليوم الضراب والطعان انتهى العهد الحفصي بالاحتلال الاسباني الذي دام 40 سنة حتى تم تحرير البلاد على يد سنان باشا في عهد السلطان سليم الثاني وبالتالي دخول البلاد كولاية عثمانية يتداول على سلطتها الباشا والداي والباي اعتمادا على الجيش الانكشاري(الجيش العثماني).

ومن أهم النصوص التي تحدثت عن جهة باجة في نهاية القرن 13 م نص العبدري (توفي 1289 م) الذي قال أن " مدينة باجة مألحة أجاجة ، قد هتكتها الأيدي العادية ، وفتكت فيها الخطوب المتמادية ، حتى صارت وهي حاضرة بادية .

كما قال أيضا فيما قال : "وقد حدثت بها أن أهلها لا يفارقون السور خوفا من العربان ، وأنهم يستعدون لدفن الجنائز كما يستعدون ليوم الضراب والطعان ... " ⁶

8.1. العهد التركي والمرادي والحسيني :

تميز القرن 17 ميلادي بمحافظة جهة باجة على أهميتها العسكرية ومكانتها الاقتصادية وقد برز عديد المؤرخين أهمهم طبعاً محمد الصغير بن يوسف (1693-1771م) مؤلف " المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي التركي " الذي يعتبر من أهم الشهادات على أوضاع باجة وجهتها في النصف الأول من القرن 18 م ، حيث انعدم الأمن وتم اجلاء عدد هام من أهل باجة إلى تونس مرة أولى سنة 1734 م ومرة ثانية سنة 1746م بأمر من علي باشا.

كما ذكر تحدث بوننفان Bounnenfant كثيرا عن جهة باجة ككل وخاصة فترة التوتر والاضطراب والضعف و اعتبر "أن من أهم أسباب انعدام الأمن في جهة باجة هو المواجهة بين سكان السهول من الفلاحين والحضر وبين الجباليين (جبال خمير المستقلين عن سلطة الباي) ⁷

⁶-العبدري (محمد) : الرحلة المغربية ، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر ، 2007، ص 33 .

⁷-Bonnenfant (P) : Bèjà , de la conquête musulmane à 1881 , Ibla n 127,1971,p15

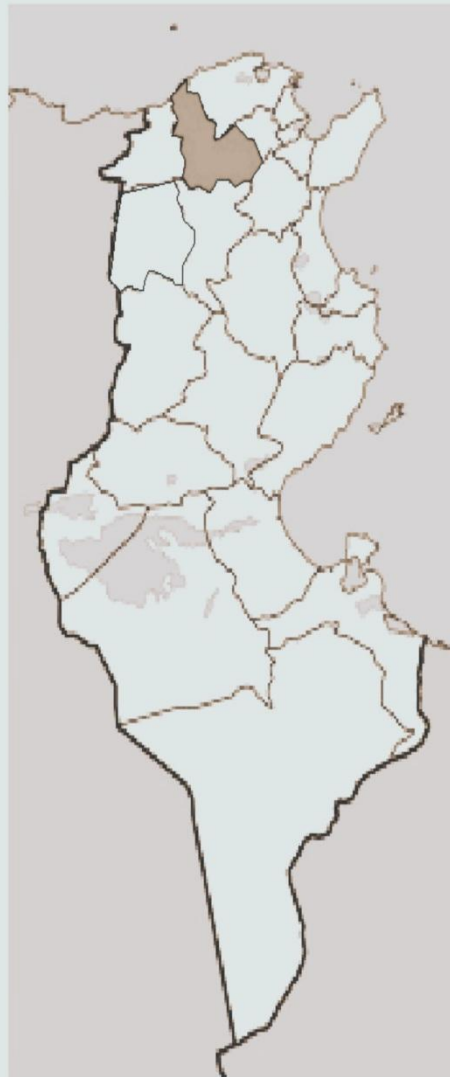
كما نشير أيضا الى نص الوزير السراج التي تحدث فيه عن جهة باجة في الثلث الأول من القرن 18 م عندما تطرق الى الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي حيث قال : " ...ومن مشاهير بلاد افريقية بلد باجة ، وهي مناخ الأقوات في كل الأوقات ، وهي بلدة كثيرة البر والعسل والبقر، اذا كثر خيرها عم الرخاء بإفريقية إذ هي عمدتها في هذا الأمر ."
9.1. الفترة المعاصرة :

تميزت جهة باجة في القرن 19 م بعدم الاستقرار وتقهقر بسبب تعدد الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ارتباطا بعدد الاحداث التي تهم الايالة التونسية عموما مثل بروز ثورة علي بن غدام سنة 1864م إلى جانب تنامي الازمات و انتصاب الحماية الفرنسية سنة 1881).
كما تزايدت مظالم محلة الجباية وتسبب ذلك في كساد الايادي وفقر الجيوب وانتشار الفقر المدقع وتفشى الامراض بباجة سنة 1867 م⁸
تميزت جهة باجة بين سنوات 1860 و 1875 م بتردي جميع الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية وتوتر الوضع السياسي و عدم الاستقرار وانتهى ذلك باستيلاء الجيوش الفرنسية على جهة باجة يوم 20 ماي 1881⁹

⁸ - ابن ابي الضياف (احمد) : الاتحاف ، ج3، الدار العربية للكتاب ،تونس ، 1999 ، ص 102-103-105 .

⁹ .Guérin(VH) : Voyage archéologique dans la Régence de TUNIS, T02, Paris ,1862.

صورة عدد 01: تموقع جهة باجة جغرافيا



ولاية باجة
البلاد التونسية

المصدر : عمل شخصي (2024)

صورة عدد02: شعار ولاية باجة



المصدر: الموقع الرسمي لولاية باجة

الصورة عدد 03 : معتمديات ولاية باجة



المصدر :الموقع الرسمي لولاية باجة

صورة عدد 04: جهة باجة وأحوازاها



المصدر: عمل شخصي (2024)

1.2. باجة :

تقع باجة بالشمال الغربي للبلاد التونسية تبعد حوالي 100 كم، وتتميز بخصوبة أراضيها وجودة منتوجاتها وتاريخها العريق وهي مطمور روما و مطمع الحياة¹⁰ .

يحدّها شمالا وشرقا نفزة وولاية بنزرت ، غربا ولاية جندوبة أما جنوبا عمدون .

توجد باجة في موضع مرتفع نسبيا ، وتحتوي مجموعة من التلال ، يتراوح ارتفاعها بين 400 و 700 م على مستوى سطح البحر، وهي بذلك تشرف على سهول واد مجردة ، و تتصل بها بواسطة واد باجة الذي يصب في مجردة .إذا تتميز باجة بموضع استراتيجي لأن كل طرق التل تأتيها أو تمر بها ، مناخها ممطر بانتظام وعيونها غزيرة لعل أشهرها عين الشمس التي توجد تحت سور المدينة وفي أسفل الجبل الذي شيدت فوقه قلعة المدينة . وقد ارتبط وفرة المحصول بوجود تربة طينية ذات لون بني أو أسود ، متأتية من تفسح صخور الطفل والكلس ، وهي تربة مواتية للزراعات الكبرى ، وكذلك لزراعة البقول من فول وحمص وثوم كما يبلغ معدل كميات الأمطار السنوية بالمنطقة حوالي 660 مم

هذا وقد سميت مدينة باجة، منذ القديم أرض الصابة والمطمور ، وعرفت بإنتاجها الهام للقمح و بمنتوجاتها المتنوعة منها عدة أنواع من البقول (فول ، حمص، عبادة الشمس، قطانية ، ثوم ،دلاع ، وبطيخ باجي) والأعلاف (فصة وبرسيم).

كذلك نشير الى أهمية نشاط الأبقار لإنتاج اللحوم والحليب وتربية الأغنام من النوع الصاردي الصقلي حيث ارتبط مجال تربية الماشية بحزق أهالي المنطقة بطريقة خزن الأعلاف والمحافظة عليها لوقت الحاجة .

ومنذ فترة الستينات من القرن العشرين ، أصبحت جهة باجة تتميز بإنتاجها للفت السكري الذي يزود مصنعي باجة (شمال غرب المدينة ، على الطريق المؤدية الى طبرقة) وبن بشير (ولاية جندوبة) بالمادة الاولى لإنتاج السكر .

أما الأشجار المثمرة ، وخاصة الزياتين ، فهي تنتشر على الربي والمنحدرات المحجرة والمظلة على سهول باجة الفسيحة والمفتوحة ، ونظرا الى القيمة الفلاحية والادارية لمدينة باجة ، فان سوقها الاسبوعي وهو يلتئم يومي السبت والأحد ، يستقطب أفواجا هائلة من الرواد يأتيونه ليس من المرتفعات المجاورة فقط ، بل حتى من جبال خمير ومقعد ، كما يرتاده أيضا مربو الماشية والسباسب والمختصون في المغارس من الوطن القبلي والساحل (الادارة العامة للتهيئة الترابية 1999).

صورة عدد 05 : مدينة باجة



المصدر : عمل شخصي (2024)

2.2. نفزة :

تقع مدينة نفزة في الشمال الغربي للبلاد التونسية ، وتبعد عن مركز ولاية باجة حوالي 40 كم ، وعن طبرقة 28 كم ، وعن تونس العاصمة 138 كم ، وهي تمثل المنفذ الوحيد على البحر لولاية باجة وهو ما يميزها عن بقية مدن الجهة .11

يحدّها شمالا وشرقا ولاية بنزرت ، غربا ولاية جندوبة أما جنوبا باجة المدينة وعمدون . يعود أصل التسمية لقبيلة بربرية معروفة ، يوجد مثلها بجهة طرابلس بليبيا وبجهة وهران بالجزائر ، وتعود تسمية نفزة إلى قائدها صالح بن نصير النفزي ، وقد استوطن فريق من هذه القبيلة شمال البلاد التونسية، أين تقع اليوم مدينة نفزة .

تمثل مدينة نفزة اليوم همزة وصل بين عديد مدن الشمال منها طبرقة وباجة وبنزرت وهي تقع بسهل فسيح وخصب ، يفصل بين سلسلة جبال خمير من الغرب وبين جبال مقعد من الشرق ، لذلك تصل إليها عديد الاودية أهمها واد الزوارع وواد بوترفس .

كما تحتوي مدينة نفزة على مائدة مائية هامة ، حيث تقدر أن كميات الأمطار السنوية بها بين 900-1000مم وهو ما يمثل عامل طبيعي ملائم جدا لتعاطي النشاط الفلاحي.

ولكن توجد المدينة على مرتفع وهي بالتالي في مأمن من الفيضانات ، أما الجبال المحيطة بها فهي مغطاة بغابة كثيفة من الفرنان والزان ، تعلو طبقة من الضرو والكشريد والريحان والقندول .

أما في اتجاه البحر فيوجد شاطئ الزوارع الجميل ، شاطئ الباجية ، الذي يختلط فيه زرقة البحر بخضرة الغابة .ووراء الشاطئ نجد الكثبان الرملية ، و هي اليوم مغطاة بغابة الصنوبر .

لكن منذ مدة بعيدة ، لم تكن توجد سوى بعض شجيرات الكشريد والعرجار والضرو ، لأن غابة الصنوبر هي وليدة القرن العشرين (منذ سنة 1920) وقد غرست بهدف تثبيت الرمال المتحركة ، وذلك بجهد كبير من مصلحة الغابات ، نظرا إلى قوة الرياح الشمالية الغربية بهذه المنطقة .

ساهم تثبيت الرمال في تطوير الفلاحة على الاراضي الممتدة خلف الغابة .و يتنوع المنتج الفلاحي بتنوع الترب حيث نجد أولا الترب الرملية التي تصلح لزراعة القوارص والمغروسات ، حب الملوك والفراولة والكريمة .

أما الترب الثقيلة فتتلائم مع زراعة الخضروات وغراسات الخوخ والاجاص والزيتاين وغيرها .وأخيرا نجد بعض الترب الأخرى التي تصلح للزراعات العلفية مثل القرط والفصة وينشط قطاع تربية الماشية خصوصا أن المراعي تتوفر على مدار السنة .

كما تنفرد كذلك مدينة نفزة بكثرة المياه والسدود مثل سد سيدي البراق على واد الزوارع وروافده وهو الأقرب الى البحر (2 كم فقط)، ويعتبر هذا السد من أهم السدود التونسية حيث يتميز بحوض يتجاوز 400 هك و سعة جملية تقدر بـ 265 مليون متر مكعب، وكذلك يوفر السد كميات هامة جدا من المياه الصالحة للشرب تتجاوز 190 مليون متر مكعب. أما المنطقة السقوية المبرمجة بمنطقة السد فتتأهل مساحة 50.500 هك.

صورة عدد 06: مدينة نفزة



المصدر: عمل شخصي (2024)

3.2. مجاز الباب :

تقع مدينة مجاز الباب بمنطقة انتقالية بين الشمال الشرقي و الشمال الغربي وهي لا تبعد عن العاصمة سوى 60 كم ويفصلها عن مركز ولاية باجة اليها سوى 40 كم .

يحدّها شرقا ولايتي اريانة وزغوان ، غربا تستور وجنوبا قبلاط .

ويعود أصل التسمية الى الفترة البربرية ثم الرومانية وهو "ممرسة" أضيف اليها في النطق العربي حرف الباء فأصبحت " ممبرسة "

تعتبر مجاز الباب بلدة فلاحية بالأساس توفر مياه الري والتربة الخصبة البنية منها والحمري ، التي تكونت فوق نقليات واد مجردة ، ووجود اليد العاملة المتمرسه ، ذات الأصول الأندلسية كلها عوامل تفسر كيف أن مدينة مجاز الباب وأحوازاها تعيش بالفلاحة ومن أجل الفلاحة ، والحاصل أنه تمارس حول المدينة أنشطة فلاحية متنوعة تعتمد في أغلبها الري 12.

يبلغ المعدل السنوي للأمطار في مدينة مجاز الباب حوالي 408 مم وهو ماساهم في تنوع المزروعات نذكر منها بصفة خاصة الزراعات الكبرى من قمح صلب ولين وزراعة الخضروات الشتوية ، منها الجزر و الربعية (البطاطا والقنارية) أو الصيفية (الطماطم والبطيخ والدلاع) .وذلك في ارتباط وثيق بما يوفره سد سيدي سالم ، الواقع في عالية المنطقة ، على بعد 10 كم من البلدة ، وتستند هذه الأنشطة الى عمل تكميلي ولكنه أساسي وهو تربية الماشية وتجدر الملاحظة أن النشاط الفلاحي هو ، في الوقت نفسه، من اهتمام الخواص ، والمركبات الفلاحية التي تعتمد طرق انتاج عصرية ومكثفة ، تجمع فيها في الغالب بين الزراعة وغراسة الأشجار (زياتين ومشمش)، وتربية الماشية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بانتاج الأعلاف الخضراء 13.

12- بورقو (منجي) : مواقع تونسية ، سلسلة نقوش عربية ، تونس، 2015، ص 83.

13- بورقو (منجي) : نفس المصدر السابق، ص 84.

صورة عدد 07: مدينة مجاز الباب



المصدر : عمل شخصي (2024)

4.2. تستور:

تستور " زهرة البلدات المورسكية وبستان بلاد المالوف وذكرى الوصل بالأندلس"14 تقع المدينة في الشمال الغربي للبلاد التونسية وتبعد حوالي 79 كم عن تونس العاصمة . يحدها شرقا مجاز الباب و قبلاط ، جنوبا كل من تبرسق وولاية سليانة وأما غربا باجة . وتعتبر مدينة تستور من أضخم المدن التي أسسها المورسكيون في البلاد التونسية ، وقد قدموا من الأندلس وبالتحديد من منطقة بلنسية ومنطقة كاتالونيا واستقروا بالمنطقة في اواخر القرن السابع عشر ، توجد بالقرب من تستور عديد البلدات المورسكية الاخرى مثل مجاز الباب والسلوقية وتبرسق.

هذا وقد شيدت مدينة تستور على أطلال مدينة رومانية هي تشيلا ومعناها بالبربرية الأرض الخصبة أو البركة التي تتغذى منها مياه النهر أو الواد ، تقع هذه البلدة القديمة على الطريق الهامة التي كانت تربط بين قرطاج وتبسة وقد اختار الرومان هذا المكان بالذات لخصوبة أراضيها و استراتيجية موضعه وموقعه ، لكن يبدو أن أقدم اثار الانسان بهذه الربوع ترجع الى فترة فجر التاريخ اذ توجد على سفح جبل الصخيرة الموجودة على بعد 8 كلم غربي تستور ، قبور منحوتة في الصخر وكهوف معدة للسكن ، يعود تاريخها الى العصر الحجري الحديث . أما لفظ تستور قد أسندت اليه عديد المعاني ، منها ما يقابل بالإسبانية كلمة Tasa Torre أي البرج أو القلعة وقد حافظت تستور أيضا على طابعها الأندلسي حيث لم تمسها التطورات الحديثة فصوامع جوامعها تشبه كثيرا قمم الأبراج المسيحية وسقوف مبانيها مغطاة بالقرميد الأخضر الاسباني وطرقها على نمط رقعة الشطرنج . تتكون مدينة تستور من عديد الاحياء الهامة مثل الحي الأندلسي المعروف برحبية الأندلس أي بطحاء الأندلس ويحتوي الحي على الجامع الكبير الأول الذي يتوافق بناؤه مع بداية تأسيس البلدة ، والجامع الكبير الحالي الذي شيد من قبل أعيان الجالية الثانية ، وكان ذلك سنة 1630 م ويتميز الجامع بمأذنته المربعة . وكذلك نجد حي الثغريين وهو الذي إستقر به سكان الحدود التي كانت تفصل في الاندلس بين المسلمين والمسيحيين وأخيرا نجد الحارة أو الحي : كان يؤوي حتى سنة 1970 الجالية اليهودية التي استقرت بالمنطقة وتعايشت مع المسلمين15

ومنذ البداية ، كانت في تستور فصل تام بين مباني التجارة والسوق من ناحية وبين المساكن ناحية أخرى ، يحتل السوق القسم الأوسط من البلدة وبالتحديد ما يعرف بالنهج الطويل ، ويسمى اليوم نهج الطيب المهيري ، يخترق هذا النهج المدينة ، ويربط بين ما يعرف ، قديما بباب تونس شرقا و باب تبرسق غربا .

14- بورقو (منجي) : مواقع تونسية ، سلسلة نقوش عربية ، تونس، 2015، ص 79.
15 -Sadaoui (Ahmed), Testour du XVII -ème au XIX -ème siècle, Fac de Lettres Manouba, 1996.

ومنذ القرن السابع عشر ، كان السوق يلتئم يوم الجمعة ومازال الى اليوم حافلا بالصناعات التقليدية مثل الشاشية والجبة ، كما توجد بالسوق الحمامات والمقاهي والفنادق .

أما خارج السوق ، فتزدهر صناعة الفخار كمادة لبناء المدينة (اجر ، قرميد ، جليز، جبس) خصوصا أن المنطقة لا تتوفر بها حجارة للبناء باعتبار هيمنة نقلات واد مجردة ، التي غطت الصخور القديمة ، اما المنازل فهي مغطاة ومحلاة بالقرميد وتتكون من سقيفة وساحة وسطى توجد فيها في الغالب شجرة أرنج أو برتقال ، وأحيانا شجرة ليمون أو فل أو حناء أو ورد أو عنبر ليل .

تفتح على هذا الفناء عديد البيوت ، مثل بيوت للسكن ومحال للحيوانات وبيت للنار والمؤونة وعلي ، وهو بمثابة المظمور.

كما تتميز مدينة تستور ببساتينها الجميلة ، ويسمى البستان الواحد " برجيلة" وهي تسمية من أصل لاتيني Parcella معناها قطعة وأغلب البساتين مسيجة بطواحي ، وهي ذات أشكال هندسية الى درجة أنه يخلل للإنسان أن عملية التقسيم للبساتين تمت كلها في مناسبة واحدة ، والى حدود بداية القرن العشرين ، كانت عمليات الري تعتمد الابار .

ففي سنة 1910 ، كان بتستور قرابة 150 بئرا وهي مجهزة بنواعير خشبية لرفع ام الماء ، ثم في مرحلة ثانية، تم الاعتماد على مياه وادي مجردة باستعمال المضخ الالي ومنذ سنة 1882 ، أي بعد تشييد سد سيدي سالم تضاعفت عملية الري بمدينة تستور وهو ماساهم في تطور الزراعات السقوية بالجهة ككل .

صورة عدد 08 : مدينة تستور



المصدر : عمل شخصي (2024)



5.2. تبرسق :

تقع تبرسق في الشمال الغربي للبلاد التونسية وتبعد عن تونس العاصمة حوالي 100 كم . على ارتفاع 410 م تقريبا على سطح البحر ويعتبر جبل الرحمة الاعلى في المدينة . يحد المدينة من الشمال تيباز وباجة الجنوبية، شرقا تستور و جنوبا الكريب من ولاية سليانة. يعود أصل التسمية الى الاسم القديم " تبرسكوم بوري " Thubursicum bure ، وهي مدينة رومانية هامة ، امتد ازدهارها حتى أيام الفترة البيزنطية الذي أقيم خلالها بالمدينة حصن ، وهو واحد من جملة عديد الحصون الأخرى شيّدت بالمنطقة بهدف حماية مشارف وادي مجردة .

ويبدو أن جذور كلمة " تبرسكوم بوري " ليست لاتينية بل هي بربرية نظرا لوجود حرف التاء في بداية الكلمة ، وربما كذلك من أصل اغريقي وقد تعني مقطع الحجارة .

أما لفظ "بوري" فيطلق على كامل الجهة التي توجد بها تبرسق ، اذ يضاف الى اسم البلدات والقرى مثل دجة و تيباز ، أما اعتماد التسمية نفسها - حتى خلال الفترة العربية - فبمعناه أن المدينة العربية قامت على موضع المدينة القديمة نفسه 16.

يغلب على تبرسق الطابع الفلاحي حيث تشرف على واد خلاد احد روافد وادي مجردة ، ولئن عرفت المنطقة ببرودة شتائها نظرا الى عامل الارتفاع (من 400 الى 700 م)، فإن هذا العامل نفسه يلطف من حرارة الصيف لاسيما خلال الليل كما تتعرض المدينة للرياح الشمالية الغربية .

تبلغ معدلات الأمطار السنوية بمدينة تبرسق حوالي 540 مم وقد ساعد ذلك على تطور الانشطة الفلاحية .

ونظرا الى أن أغلب المنطقة متكون من الصخور الطفلية الكتيمة تعلوها صخور كلسية نفاذة فإن المنطقة غنية بالعيون الجارية والعذبة ، وقد شرع في استغلال بعضها ، وتعليب الماء منذ جوان 1940 مثلما هو الحال بالنسبة إلى عين مليتي .

أما العيون الأخرى مثل عين الكرمة وعين نشرة والعيون الرومانية وعين مسكة وعين لمومة فتسيل ليلا نهارا ، صيفا وشتاء.



3. الاطار المفاهيمي

1.3. التراث :

التراث هو كل ما وصل الينا من الماضي داخل الحضارة السائدة فهو غذا قضية موروث وفي نفس الوقت معطى حاضر على عديد المستويات 17

التراث ليس له وجود مستقل عن واقع حي يتغير ويتبدل ويعبر عن روح العصر وتكوين الجيل ومرحلة التطور التاريخي

التراث هو مجموعة التفسير التي يعطيها كل جيل بناء على متطلباته 18

عرف لفظ التراث في اللغة العربية من مادة "ورث" ويكون بذلك مرادفا " للإرث" او " الميراث" وهي مصادر تدل على ما يرثه الانسان من والديه من مال أو حسب .

أصبح اليوم لفظ " التراث" يشير الى ما هو مشترك بين المجتمع او المجتمعات ، الدول ...

أي التركة الفكرية أو الروحية التي تجمع بينهم.

الارث او الميراث هو عنوان اختفاء الاب وحلول الابن محله فان التراث قد أصبح بالنسبة للوعي العربي المعاصر عنوانا على حضور الماضي في الحاضر.

استعملت كلمة héritage في اللغة الفرنسية في معنى مجازي للدلالة على المعتقدات والعادات الخاصة بحضارة ما وهي بهذا المعنى لا تلتقي مع المعنى العربي.

17- حنفي (حسن) : التراث والتجديد – موقفنا من التراث القديم ، المملكة المتحدة 2017، ص 16.

18- نفس المصدر السابق: ص17.

2.3. التراث الثقافي:

تطور مفهوم التراث بعد الاتفاقيات الدولية التي أقرتها اليونسكو ليعرف على أنه " كل ما خلفته الحضارات أو تركته الأجيال السابقة وتم تقسيمه إلى أنواع حسب خصوصيات كل مجتمع وينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام وهي :

✓ التراث المادي أو التراث الثابت: أبرزها المواقع التاريخية والمعالم والمباني الأثرية وما تكشفه الحفريات وما تتضمنه كذلك المتاحف من قطع ولقى أثرية متنوعة

✓ التراث الفكري: هو ما يقدمه السابقون من علماء وكتاب و مفكرين وقادة سياسيين كانوا شهودا على عصورهم ومبدعين من خلالها

✓ التراث غير المادي: قواعد السلوك والعادات والتقاليد المجتمعية والفنون والحرف الشعبية واللهجات والأمثال...

3.3. التراث غير المادي:

هي مجموع الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من الات و قطع ومصنوعات وأماكن ثقافية التي تعتبرها الجماعات والمجموعات وأحيانا الأفراد جزءا من تراثهم الثقافي ، وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل تبذعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها وهو ينمي لديها الاحساس بهويتها والشعور باستمراريتها ويعزز بذلك احترام التنوع الثقافي والقدرة الابداعية البشرية .

ولا يؤخذ في الحساب لأغراض هذه الاتفاقية سوى التراث الثقافي غير المادي الذي يتفق مع الصكوك الدولية القائمة المتعلقة بحقوق الانسان ومع مقتضيات الاحترام المتبادل بين الجماعات والمجموعات والافراد والتنمية المستدامة. 19

4.3. التنوع الثقافي:

تعدد الأشكال التي تعبر بها الجماعات والمجتمعات عن ثقافتها وأشكال التعبير هذه يتم تناقلها داخل الجماعات والمجتمعات وفيما بينها ، ولا يتجلى التنوع الثقافي فقط من خلال تنوع أساليب التعبير عن التراث الثقافي المتنوعة، بل يتجلى أيضا من خلال تنوع أنماط ابداع أشكال التعبير الفني وإنتاجها ونشرها وتوزيعها والتمتع بها ، مهما كانت الوسائل والتكنولوجيات المستخدمة في ذلك .

19- اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي ، المادة 1 ، أحكام عامة ،اليونسكو ، سبتمبر 2003.

5.3. المضمون الثقافي و أشكال التعبير الثقافي :

يقصد بعبارة المضمون الثقافي المعاني الرمزية والأبعاد الفنية الثقافية المستمدة من الهويات الثقافية أو المعبرة عنها . أما أشكال التعبير الثقافي فهي أساسا كافة أشكال التعبير الصادرة الناشئة عن إبداع الأفراد والجماعات والمجتمعات والحاملة لمضمون ثقافي .20

6.3. السياحة الثقافية:

النشاط الذي يمكن الناس من تجربة طرق مختلفة لحياة الآخرين وبالتالي اكتساب فهم مباشر لعاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم وبيئتهم المادية وتلك الأماكن . ارتكازا على الأهمية المعمارية أو التاريخية أو الأثرية أو أي أهمية ثقافية أخرى التي بقيت من الأزمنة السابقة.

تختلف السياحة الثقافية عن السياحة الترفيهية من حيث أنها تسعى إلى اكتساب فهم أو تقدير لطبيعة مكان الزيارة .21

7.3 . التقاليد الشفوية وأشكال التعبير الشفوي الفنون وتقاليد اداء العروض:

التقاليد المنقولة شفاهيا ، اللهجات (اللغة باعتبارها وسيط للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي ، الحكايات الشعبية، المداخل، الأغاني والمقامات، ترانيم الأمهات ، الأمثال الشعبية ، الكتابات والألقاب ، الألغاز ، الحكايات الشعبية ، الخرافات والطرائف الشعبية ... أما تقاليد اداء العروض فتتمثل اساسا في فنون العرض، فنون الخط العربي، المهارات والمعارف و الممارسات ، الأغنية الشعبية...

8.3. الثقافة الغذائية التقليدية و الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات:

تتمثل الثقافة الغذائية التقليدية فيما تشتمل عليه من فنون مطبخية و آداب طعام ... أما الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات فتضم خاصة مراسم الزواج المتعددة ، الرقص الشعبي ، مراسم اداء الزيارات الى الأضرحة ومراقدة الأولياء الصالحين (إبقاء الشموع ، مراسم إحياء المناسبات الدينية مثل المولد النبوي الشريف ، الزردة وطقوسها الصوفية ، السبحة ، المهارات والطقوس المتعلقة بها ، المعتقدات الشعبية ...

20- مرسى(احمد علي) : صون التراث الثقافي غير المادي، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2013 ، ص1

21- تعريف اللجنة الدولية للسياحة الثقافية (ISCT)

9.3. الأعياد :

(مفرد عيد) لغة تعني عود حذف حرف الواو و تم تعويضه بالياء اصبح عيد ويعني العودة الى يوم انتهاء محنه او بلاء او انجاز مهم .
يأتي العيد كمكافئة للصبر والتعب التي تم بذله. والاعياذ ليست محتكرة فقط في المناسبات الدينية فهناك عدة اصناف أخرى من الأعياد

10.3. العادات والتقاليد:

✓ لغة : عرفت العادات في عدة معاجم عربية على انها نمط من السلوك او التصرف المعتاد التي يتم فعله مرارا وتكرارا من غير جهد.
اما التقاليد فهي عادات وعقائد واعمال وحضارة الانسان المتوارثة التي يرثها الخلف عن السلف وفردتها تقليد
✓ اصطلاحا: العادات هي اعراف يتوارثها الاجيال لتصبح جزءا من عقيدتهم وتستمر مادامت تتعلق بالمعتقدات على انها موروث ثقافي فهمي تعبير عن معتقد معين .
اما التقاليد فهي مجموعة من قواعد السلوك التي تنتج عن اتفاق مجموعة من الاشخاص وتستمد قوتها من المجتمع ، وتدل على الافعال الماضية القديمة الممتدة عبر الزمن والحكم المتراكمة التي مر بها المجتمع ويتناقلها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل ،وهي عادات اجتماعية استمرت فترات طويلة حتى اصبحت تقليدا .
ويتم اقتباسها من الماضي الى الحاضر ثم الى المستقبل فهي عبارة على نظام داخلي لمجتمع معين.

11.3. رقمنة التراث:

الرقمنة هي عملية تحويل الجوانب المادية في عمليات الاعمال و تدفقات العمل الى جوانب رقمية هي تمثيل الاشياء غير الرقمية او المادية والتنسيق الرقمي هو ان يكون بإمكان الكمبيوتر استخدام هذه المعلومات على سبيل المثال ، تحول النماذج الورقية الى نماذج رقمية .

خاتمة الفصل

ننتهي في هذا الحيز من الفصل الأول إلى التشابه النسبي لجهة باجة وأحوازها في عراقتها الحضارية و خصائصها التاريخية و أهم الحقبات التي مرت بها من الفترة القديمة الى الفترة المعاصرة من خلال المعالم الهامة و اللقى الاثرية والمخطوطات، لكنها في المقابل تتباين نوعا ما في خصائصها الطبيعية ارتباطا باختلاف المواقع والمواقع والارتفاع مقارنة بمستوى سطح البحر وأشكال التضاريس المتنوعة (سهول وهضاب ومرتفعات) و العوامل المناخية (حرارة وأمطار) والمجري المائية والودية و انواع التربة ...

وقد ساهم هذا التنوع الطبيعي الهام في تنوع المنتجات الفلاحية خاصة منها الحبوب والغراسات الكبرى و الكروم والزيتين والاشجار المثمرة على وادي مجردة و تربية الماشية ... كما ساعد ذلك على عراقة الحضور البشري على ضفاف وادي مجردة والمناطق المجاورة لها فبرزت عديد الحرف التقليدية الهامة خاصة المرتبطة بالحضور الاندلسي بجهة باجة واحوازها (مثل مجاز الباب و السلوقية وتستور وتبرسق)

تتميز جهة باجة وأحوازها بخصائص تاريخية وجغرافية متنوعة و ثرية الى جانب أهمية تراثها عموما و تراثها الثقافي غير المادي بصفة أخص مثل عادات وطقوس الاحتفال في الاعياد الدينية و المناسبات الاجتماعية (التراث الغذائي والتراث الشفوي و اللباس والعادات والتقاليد ...)

الفصل الثاني :

عادات وطقوس الاحتفال في الاعياد والمناسبات
الاجتماعية بجهة باجة وأحوازها

II - عادات وطقوس الاحتفال في الأعياد والمناسبات الاجتماعية بجهة باجة وأحوازها

مقدمة الفصل

1- عادات وطقوس الاحتفال في الاعياد الدينية بجهة باجة وأحوازها

1.1. عيد الفطر

إحضار الملابس و الثياب الفاخرة ، صنع الحلويات (صمصة ، بقالوة ، التهنة ، غريبة ، مقروض ، كعك ورقة.....) كلها متركة من سميد القمح أو الدقيق الحمص أو الدرع و السمن و العسل و السكر و من الفواكه الجافة(لوز- بندق – فستق – تمر)كما يصنعون أنواعا من الاشربة الحلوة المتنوعة مثل الروزاطة بقلب اللوز أو الفستق أو الشروبو (تمر الهند أو زهرة البنفسج أو حب الملوك أو البرتقال أو الرمان ...

-زيارة الأقارب و الجيران .

- تبادل التهاني يعزمون بعضهم لتناول طعام السرور و الفرح حيث يلبس الناس افخر ما عندهم و تبسط الموائد في كل دار .

يوجهون لبعضهم و لذوي الأعمار و قلة اليد الأطباق المملوءة بالأطعمة و الحلويات و بذلك يعم الفرح و يتشارك الناس جميعا في هذا السرور.

- الموسم الثاني من المواسم الشرعية هو عيد الفطر.

- ومن العادات أن تطلق المدافع صباحا و عشية من الحصون من مدة أيام العيدين (الفطر و الأضحى)و من السنة في عيد الفطر التوسعة على العيال بأي شيء من المأكولات إذ لم يرد الشرع فيه بشيء معدوم فمن وسع على أهله فيه امتثال السنة . و قد جرت عاداتنا بإعمال الحلويات فيه و شيء من اللحم المطبوخ بالزبيب و القسطل و يسمى المروزية. و شيء

يسمى الطبخ * لحم في الزيت * ويجعل في العيد شيء من الخبز الجيد المخلوط بالسمن و
تؤدى صلاة العيد في أول يوم منه و ماهو في عيد النحر (الأضحى)

بكري من عيد الفطر تقريبا . إلا النحر و يتصدق من يوم العيد الفطر على كل نفس صاع من
بر وهو الذي يتعين علينا اليوم إخراج له لأنه طعام جميع البلد.

2.1. عيد الاضحى

* عيد الأضحى

أما ما يفعله في السنة فأولهما المواسم .

عيد الأضحى هو أعظم مواسم المسلمين جميعا فأول ما يبدأ بالعمل في هذا اليوم أن يخرج
الإنسان من منزله إلى الجامع فيصلي ثم يرجع فينحر و في هذا منهي أن النحر واجب يعني
وجوب السنة المؤكدة و يفطر على زيادة الكبد منها و البعض ممن يضحون يبيعون جلود
الأضحية و ذلك محترم شرعا فيتصدق العبد بشي و يأكل شيئا و بعض الحاضرة لا يكسرون
لحم الأضحية إلا في اليوم الثاني من العيد وهو بدعة و من البدع المذمومة زيارة القبور في
هذا اليوم قبل العودة للمنزل و خصوصا للنساء فأنهن يلبسن فيه و يتحليان ابتداء و يتجملن
فيه بغاية الزينة مع عدم الخروج من أماكنهن لان أيام العيد إنما هي أيام زهو – قل صلى الله
عليه و سلم "إنما هي أيام أكل و شرب " فزيارة القبور في ذلك اليوم للنساء و خلع الجلاب
الحياء و البكاء و خدش الوجوه من المحرمات و المكروهات خصوصا أعراب البادية .

فإنهم يزورون موتاهم قبل الذبح و العياد بالله من هاته العادة الشنيعة.

ومن عوائد التونسيين جعل الحلويات و الكعك بأصنافه و شيء يسمونه البناضج ** طعام من السميد المعجون بالسمن ووسطه لحم مفروم وهو لذيذ و يجعلون المرقاز شيء من اللحم المفروم بالليله و الكبد يحشون به المصارين وهو لذيذ كل ذلك يهيئونه للأقارب في وقت المعايدة و يدوم العيد أربعة أيام تغلق فيه جميع الأسواق و المكاتب و لا يقرأ فيه الجامع (عطلة في جامع الزيتونة) ولا تخدم الوزارة ولا ديوان الشريعة و ما شابه ذلك و تتزين فيه الناس بالملابس الجديدة و يفرح فيه الصبيان يدفع لهم أوليائهم و أقاربهم شيء من الدراهم يقال له المهبة (الهبة) لاج لان يذهب بذلك للمعرض المسمى بالقصبة وقد علمت بيانه وهي أثناء أيام العيد تخرج الناس الى التنزه في احواز الحاضرة و تدوم المعايدة أربعة أيام و بعدها ينقضي المواسم .

ولا ينقص الاحتفال بعيد الأضحى عن عيد الفطر إلا أن عيد الأضحى تذبح فيه الاكباش فكلما يوجد من لم يهيئ لأضحيته كبشا و يقتصر بعضهم بالأضاحي عن عما الحلويات و الناس يمشون على اختلاف طبقاتهم و يوجد اختياري – إلا الموظفين في يوم العيد و ثاني يوم منه إلى قصر التشريقات بباردو قرب الحاضرة للتشرف بلائم راحة الحاضرة العلية و أداء مراسم التهاني بالعيد. و تطلق المدافع في أيام العيد صباحا و عشيا من حصون الحاضرة و المرسى و حلق الواد و باردو و حصون مدن العمالة مثلما تطلق في رمضان كل يوم عند المغرب إيدانا بحلول الفطر و عند السحور إعلاما بالإمساك .

والايقاع هو وكما قلنا اقرب الى نوبات التصوف الشعبي حين يتخمر فيها المرید ليطلب استحضر الصورة الاولى لاستبدال الولد بالاضحية- الحيوان ..ويقتدي فيها الابناء بالاباء والاجداد....

هي قوة الصورة المخيالية وجلال التشنج للدخول في اجواء الدماء ثم الشواء ثم "الزهومة " وقد يصل الامر الى تناول كبد الخروف نيئا كتعبيرة خاصة على الخوض في غمار الصورة الاولى والقبول اللامشروط للدموية الاحتفالية : قط ما كان اباؤنا عنيفين ...لان لحضة العيد كانت تمتص ولا تزال كل العنف والتشنج الحيواني فينا ..انها الاسطورة في ثوب احتفالي... انك حين تستمع الى تجريدة "الكبش يدور " تكون قد استوفيت للحظة كل صور التضحية والاكل والتجدد بل انك وانت تسمعها تشتم احيانا رائحة البخور يتصاعد من فوق راس الاضحية... وتتذوق طعم لحم الغلمي دون ان تاكل ...تكون قد استكملت استعدادك لمشهد الوداع ومشهد الاستقبال الجديد ... لحظة الموت والحياة... العيد ...نحن في العيد ...نقتل اونذبح حيوانا لنحيي انسانا لطيفا لا دموي ونتغنى ايضا بالذبيحة وبالولائم والماكولات ... هي اشبه بالاحتفال العقائدي القبلي او بزردة الزاوية الشعبية ولكنها اوسع نطاقا ...اشمل واكبر ..العيد الكبير قيل انه سمي كذلك لانه : عيد للكبير ...للبالغ والكهل يتزين فيه بسكينه وقوته وغلبته .عيد للمذكر ...فالجزار يطلب من صاحب الاضحية ان يخبره باسم امه فيقول عن لحظة الذبح : "هذي ضحية فلان ولد فلتانة باسم الله ..الله واكبر ..حلال طيب يتكل"

3.1. المولد النبوي الشريف

ينور فيها جامع الزيتونة و يتلى فيها فيه القران المجيد و ينور الحاضرة بالمصابيح و كذلك دار الحكومة و أسرج الأسواق بأنواع القاز و الشمع و المصابيح و تفرش المناشف في الأماكن العامة و يطلق المدافع صباحا أربعة أيام و يأتي الأمير من الحاشية في الملابس الرسمية للجامع الأعظم لاستماع قصة مولد صلى الله عليه وسلم و قد مر التعريف بموكب المولد الشريف.

ومن عوائدنا جعل العصيدة بكل دار من الأهالي هي طعم من السميد يجعل فوقه السمن و العسل و السكر مثل طعام العيش عند أهل طرابلس و منها استعمال آلات الموسيقى العسكرية بين المغرب و العشاء ببطحاء القصبة أمام دار الحكومة و غالب أحيان الحاضرة تجعل المولد بمحاملها تبركا و ينشد قصته من كان ذا حوت حسن كما مر.

من الاحتفالات الباهرة عندنا الاحتفال بمولد سيدنا محمد عليه الصلاة و السلام . وقد كان فيها تحتفل بها بصفة رسمية وقد بدا الاحتفال به في بداية القرن 5 هجري أيام السلطان محمود بن الغزنوي لكن الاحتفال المقدس المبرور كان مع احمد باي الذي أمر بالاحتفال به بصفة رسمية سنة 1257 م في الحاضرة و سائر المدن و حمل مصاريف الاحتفال على الخزينة التونسية حسما جار الآن ومن ذلك التاريخ صار الباي يحضر بجامع الأعظم في صبيحة اليوم الأول من هذا الموسم لسماع قصة المولد الشريف كل عام .

في ليلة المولد تزداد الصوامع و الأسواق بالقناديل و تسرج عموم الجوامع و تشادا الأناشيد من الصوامع و مصابيح يوم المولد لا تخلو دار من تهيئة العصيدة و يتفنن بعضهم في طبخها تفننا باهرا و في أثناء طبخها تسمع للنساء و لولة تصدح في كل دار علامة على السرور و الفرح و يأتي الباي لجامع الزيتونة لسماع القصة في موكب مثل مواكب الأعياد و عند انتهاء القصة و الدعاء يطاف على الحاضرين بكئوس الحليب المحلي بالسكر.

ومن أهم ما يذكر انه يجري أثناء الانتهاء من قصة إنشاد كامل منظومة الهمزية بأصوات حسان و نغم متنوعة شهية و يحضر هذا الموكب عموم الناس و تكون حفلة سر و بركة و نور .

و قد شاع استعمال قصة المولد في الأفراح حيث صار يتخللها بعض النغم و الصنائع الشهية من قصائد و مقاطع شعرية.وأشهر مولع يسرد قصة المولد في المحلات الخاصة هو الشيخ جمال الدين الخياري المتوفى سنة 1925. بردة المديح و يقوم بإنشاد قصيدة تسمى بأنغام بديعة أخوان : **القصيدة الهمزية للبوصيري** القادرية و العزوزية كما تنشد مختلف القصائد المنظومة في الموضوع لقصيدة (حلو باب الخلق أو قضي قصدي) لإبراهيم الرياحي (إذا ما شئت في الدارين سعيد) لعمر بن أبي بكر الشريف و تسطير القصيدة الحضرية له أيضا و غيرها.

أما موسم عاشورا فالاحتفال به بسيط جدا إذ يزورون فيه المقابر و يتصدقون: **عاشوراء** على الأموات بصدقات وافرة و تخرج ذوو الفضل منا و السعة ما أوجبه الله عليهم من الزكاة و ربما عمد بعض الأغنياء وذوي السعة جملة أبناء الفقراء فألبسهم الكساء المناسب و اجري في احتفالهم لائق.

و في هاذ الموسم تصنع الطبول صغيرة و طيران (الدف) و درابك مزدانة بالصور الملونة يسرونها للصغار و تباع في هذا الموسم فواكه كثيرة يشريها الناس بقصد التوسعة على العيال و إدخال السرور على الصغار و ربما صائم بعضهم هذا اليوم ابتغاء الأجر و الثواب من الله تعالى . وفيه يتكحل النسوة و البنات و بعض الرجال بالاثمة.

ومن عوائد النسوة إن لا نولون في هذا الشهر كله ربما عادات شيعية ولا يباشرن الحركة و على الأخص الخياطة و العزل و الطرز يوم عاشورا و اليومين بعده و يلعب الأولاد في هذا الموسم بإطلاق النفط و البارود و يشعلون أكدا سا من الحشيش الشايح (العشب الجاف)

يتمططون(يقفزون) عليها بعد التهابها و تسمى (اللهلية) و كانوا في الماضي يلبسون احدهم من التماثيل ما يشابه جملا يسمونه (عيد عاشورا) و يطوف به الصغار سفلة القوم في الحارات وهم يترنمون ببعض الأغاني الساقطة برنة متساوقة و لبسطة المواسم الأخرى و خوفا من الإطالة و الخروج عن المقصود عن شرحها صفحا

التوسعة فيه على الأقارب و الأهل و اليتامى و المساكين و زيادة النفقة و الصدقة إليها فيه و ليس بوارد فيه جعل طعام بعينه ولنا فيه عوائد نفعلها اليوم فمنها ذبح الدجاج و شراء اللحم الغنمي و أن لم يفعل ذلك فكأنه م قام يحق ذلك اليوم و كذلك طبخ فيه الحبوب و شراء الفاكهة المخلوطة و تفرح الصبيان بشراء عليه تمثال حيوان أو طار دربوكة للبنات و طبلين عليها في ذلك اليوم و ما بعده و إيقاد النيران في ليلة عاشورا و إطلاق البارود و غير ذلك من مآثر الشيعة و من البدع القبيحة زيارة النسوة القبور في هذا اليوم فتري أفواجا النسوة متبرجات يطفن في المقابر مختلطات بالرجال و ان قل ذلك في هاته السنين بسبب التفات الحكومة لأنه هاته المنكرات.

ومن عوائد ان يغزل النساء في ليلة عاشورا و يوم عاشورا ويوم اثني عشر ولا يخطن ولا يغسلن ولا يولون ولا يحنين بالحناء و لا يخطبن ولا تقع فيه الأعراس جميع الشهر و غالب الناس الأتقياء يعظمون موسم عاشورا فيصومونه لان الصوم وراءه وفضائله مشهودة اختصت بالتأليف أما غير ذلك فهو من البدع و المحرمات و المنكرات لا شيء فيه من الدين القديم فهذه المواسم هي مواسم الشرعية فانظر رحمتنا الله و إياكم من بدعة احدثو في ذلك فانا الله و إنا إليه راجعون.

4.1. شهر رمضان

/ ليلة 27 من رمضان (ليلة القدر)

قد جرت العادة إن حضرة الباي يقدم الحاضرة في ليلة السابع و العشرين من رمضان فتزينت بطحة القصبه و سائر أسواق التجارة و الصناعة لسوق العطارين و سوق القماش و سوق البركة و أسواق الشواشية و سوق الربع و غيرها بالفوانيس الملونة المتعددة و ثريات البلور الجميلة و توضع الزرابي الثمينة على الحيطان و يلبس الناس الثياب الفاخرة .

ففي عشية السادس و العشرين من رمضان يحل ركاب الأمير الجليل المملكة بالحاضرة للتشرف بحضور الاحتفال بختم القران العظيم و الحديث الشريف فبعد صلاة الظهر تصطف العساكر ذات اليمين و ذات الشمال من دار الباي بالقصبه إلى باب جامع الزيتونة و تكون الموسيقى ببطحاء القصبه تصنع بالسلام الملوكي.

توزع على الحاضرين أطباق الحلوى الجلجلانية و الزلابية و تكون الأسواق في ذلك الحين قد أسرجت و غصت بأفواج المتفرجين فتمر عشية و ليلة من انس الأوقات و أسناها حيث تلبس فيها الحاضرة الجلباب المزركشة و الزينة و حلي الفرحة و السرور فتمتريج عوائد قومية حسنة بعبادات و شعائر دينية جلييلة و يتجلى فيها أمير القطر المعظم على اهالين قطرة بمشاركته لهم في موسمهم و أعطاء الصدقات الجزيلة لفقرائهم و تنشيط مصانعهم و متاجرهم وإطلاق أصحاب الجناح الحقيقة من السجون و غير ذلك من المبرآت الواسعة.

وربما حضر الجانب العالي من خلال شهر رمضان صلاة الجمع و اختتام القران و الحديث ببعض جوامع الحاضرة على الصور المتقدمة فيقتضى شهر رمضان بتبادل الناس الزيارات

و الولائم مع بعضهم و التنقل في العبادات و طاعة الله الكريم من جامع آخر لصلاة التراويح و التشرف سماع تلاوة القران العظيم و حضور اختتامه و اختتام الحديث الشريف .

/ ليلة الشك و ليلة نصف رمضان (الأيام الفاضلة)

الجمعة غرة رجب . نصف من رجب . 27 رجب "المعراج" الجمعة الاولى من رجب
جمعة الرغائب ليلة غرة شعبان . نصف من شعبان . 27 شعبان . غرة رمضان . النصف
من رمضان . 27 رمضان "ليلة القدر " إلى غير ذلك : الأيام الفاضلة وقد ألف الناس في
ذلك كتباً كثيرة رد عليها الآخرون بكتب كثيرة. درجات الولاية من الصلاح إلى القطابة
المكاشفة و الحلول الكرامات و : طقوس الاوياء و المناقب . الكرامات المشتركة بين الاوياء
الذي لا ينفي و خارقة تكاثر و استحضر الماء حيث لا ماء ولا طعام حيث الطعام . الكرامات
الخاصة بكل ولي فهذا اختص الحمى و هذا سفاء السعال الديكي بإمرار السلين على قبة
المريض عند عتبة الزاوية وهذا بالشفاء من البواسير.الأولياء الذين يتحدثون عما في
الخواطر و يشفون من العمى و الشلل.

- رمضان في الحمام:

في تدوينة سابقة عنوانها " بالامس ذهبت الى الحمام "تسائلت عن مغزى ومعنى الذهاب الى
الحمام اذا كان لدينا بالمنزل كل ما يلزم للاستحمام؟ ...
وانا اليوم اتسائل عما يجعلني مسحوراً بالحمام ؟ لقد بلغ بي ذلك السحر درجة قطع مسافة
طويلة ومن مدينة الى مدينة وفي رمضان للذهاب الى حمامي المفضل كما كنا نسميه سابقاً
"حمام العين" وبعدها " حمام بالزين ... "كل ذلك وانا اسير في طريقي وكانني متجه الى
حلم او ربما على موعد مع عشقة : عشق لمعمار فريد وجو مهيب وسط مياه دعوب بين
الحر والبرودة بين "بيت السخونة" وبيت "المطهرة". "

انه بالاحرى عشق لموعده رمضاني متكرر مع الاستحمام هناك في ذلك المكان حيث يكثر الشغب او يقل وتحتمد الصراعات والصداقات والتنازلات وتقديم حلو الكلام وطرائف الزمان... كل هذا وانت تستحم.

يعجبني الامر اكثر في رمضان لان ازمة الحمام فيه تنقلب عن ازمة الافطار: فيصبح الليل كله حمام للنساء والنهار كله للرجال وبين هذا وذاك كانت لي فسحة استقيض فيها لتأدية طقوسه كما تعلمتها وتربيت عليها من السابقين..

كنت اود ان اجد عند مروري بسوق المدينة بعض السواك و"الطفل" الاخضر والبوراق وماء الورد او عود القرنفل فاستنجد "بالحارز" يدهسها فاطلي بها جسدي حتى ارفع الالام عن مفاصلي وعظامي فنحن الان على ابواب خروج الفصل البارد وما تركه فينا اعوجاجات...

كنت اود ان اجد عند دخولي "فوطه الحمام" فهي طقس من طقوس الحمام وبدونها يفقد بعض نكهته (ولكنها منعت لاسباب صحية منذ زمن طويل)

واما عن باقي المستلزمات فقد اتيت بها من منزلي وكدت افقد عقلي عندما نسيتها عند خروجي من الحمام ففيها اشياء مهمة وخاصة "الكاسة" و"الشبية" وكلاهما عزيز لان جودتهما لا ترتبط لا بمال ولا بجاه... فقط المعرفة... معرفة باصول "تحريش الكاسة"....

وترطيب الشبية.. كل هذا ليس في حاجة الى مال... فقط لشيء... هو في حاجة لشيء واحد:

هل ان الحمام داخل في تقاليد اجدادك ام لا؟... (والعكس ليس عيبا...) ان اجمل ما احتفظت به من سلوكيات الحمام عند تاهبي للخروج من فضاء الفتور... هي تلك العادة الاستثنائية التي تعلمتها عن الحاج مولدي بالزين رحمه الله هو "التمصيص" بسطين ماء: احدهما ماؤه شديد الحرارة والاخر شديد البرودة وهكذا في حركة اخذ ورد بين كلاهما تنتهي اعصابك بكفاءة التعامل مع الجو الخارجي مهما كان.

ان الحمام اكثر الابداعات البشرية قربا لطبع الانسان لذلك كان ولازال الافراد والمجموعات يتعاملون معه... يذهبون اليه بكل مودة وفي هذا اجابة عن سؤالي الذي تسألته اول مرة... نعم ان لاختيارنا الحمام عديد المعاني وكثير من الطبيعة التي فينا... هو ميراثنا وهو يدمجنا

حين لا نكون من هناك وهو ياولنا عندما لا نجد مبات وهو يقتل فينا همجيتنا ويزرع انسان وهو ينحت فينا حبا ابديا للذكريات ...ذكرى الامكنة والفضاءات.

- المسفوف: من بين صنّاع سحر رمضان:

لا بد ان تكون هذه التركيبية الغذائية تقليدا سحريا بالمعنى الابداعي للسحر، فلنقل سحرا ثقافي متعدد الاثنيات والتاريخيات .. لا بد ان يكون هناك شئ ما قد اعتمل في تاريخ الاكلات المتوسطية والافريقية وانتجت هذا الشئ الذي نسميه المسفوف..، هل يعقل ان يكون الاصل بربريا (الكسكسي)، ثم يصبح الفرع المبتدع ألد واجمل وارق هل يعقل هذا؟ اراني قرات كل القراءات والاساطير ذات العلاقة بالكسكسي،.. ولا واحدة اقنعتني باصول وجمالية ومكر تلك التركيبية السحرية للمسفوف ..ان لذته قاتلة عافاكم الله... او فلنقل "نودكم ولا نشهيكم ."

المورسكيون.. نعم هم حرفيون ولكن كذلك فلاحون ومربي ماشية من طراز متقدم وعند طردهم جاؤوا بالكثير من المهارات التي اقلموها مع المنتجات المحلية. حيث اتقنت نساؤهن "السفة" او الكسكسي الحلو او المسفوف: لكن قبل ذلك هل سمي كذلك لانه يسّف سفا؟ ام انه يؤكل ولذته يصبح مأسوف عنه؟ او قد يكون لانه يؤكل بنهم ولهفة كبيرين....؟

على كل لست ابحث عن الاصل اللغوي بل عن صولات هذه الاكلة وجولاتها بين مدقات المدينة وانهجها بين ازقة ومنازل داخل السور ...صدقوني لن تستلذ المسفوف وانت في شقة رفيعة او منزل باسلوب امريكي . ان اسلوب العيش المدني القروسي كان يحبذ الفلاحة الصغرى وتربية الماشية القروية القريبة والامتداد الحرفي لهما داخل القرية -المدينة . يضاف الى ذلك تجارة تبادل السلع :كالحبوب مقابل الفواكه والتمور وانواع الزبيب الفارسية اللّماء... كلها احتاجت الى تلك المهارة الابداعية التي استغلت موروث المطبخ البربري والمنتوج المحلي من ألبان وزبادي، والمتبادل من الفواكه حلوها ودسمها، لتستحدث المسفوف .

...لا اعرف... انا حقا لا اعرف كيف فعلت حواء تلك الازمان؟، لتسفسفنا بذلك المأسوف عنه؟ لا ادري كيف استغلت ذلك "الفرخ" وهو ارق انواع الكسكسي لتطبخ بل قل لتحضر بل قل لترسم وتعزف اجمل روائح ليالي رمضان بذلك المسفوف الجميل في مشهده واللذيث

في طعمه. ذلك الماسوف الجبار الذي يحتاج في اروع تركيباته الى سبعة تفويرات متتالية في "كسكاس وبرمته" متحزمتان بقماش قطني .. اكاد اجن اونا ابحت عن تاريخ وتفاعلات تلك التركيبة الغذائية المسفوفية وانا انتبع خطى ذلك السحر الجميل المتناثر في تاريخ المتوسط الافريقي البربري العربي المورسكي ..الم يصنع المورسكيون مجد بلاد المغرب في طرق الطبخ التي أدخلوها على صناعة بعض الحلويات ومشتقات الحليب منها الجبن الذي يلقب اليوم بالتستوري والسمن وأنواع العجين كالحلالم والدويدة والفطائر كالاسفنج والشربات... كل ذلك لا ولن يوازي في شيء تلك الاكلة الملكية الفريدة ... لا لشيء ... لانها مزجت بين ثقافات واعراق ولغات عديدة ... لانها قبلت بالتعايش ..المسفوف شاهد على ان اسلافنا مبدعون لانهم متسامحون..فقط هذا الذي يصنع السحر المتواصل للاشهر المقدسة.

- من مذكراتي الرمضانية: اول ايامه:

كنت في اول ايام رمضان استغرب من عادة يفرضها ابي عنوة رحمه الله ، وعلى طول السنوات التي عشتها معه كان له في اول يوم في رمضان اكلته او فلنقل لا نحة الطعام لائحته المقدسة ...وقد ترسخت بالفعل تلك الامور في ذاكرتي بل واصبحت عادتي عندما بنيت عشا...

لائحة الطعام هذه لأول ايام رمضان ...تبينت ان ابي نفسه ورثها عن امه وهي امراة ذات اصول مورسكية وكانت مباركة بن يهمس هذه (تعريب للاسم العائلي (Gomes)رحمها الله تعد عشاء رمضان وتحث ابي وهو اكبر اخوته لشراء المقتنيات اللازمة لذلك العشاء الشهيوكان الامر جليا فالاختيار كان ذا طابع صحي لا اكثر ولا اقل بما انه اول ايام الصوم و لائحة الطعام هذه ليست معقدة ولا متعددة فيها كما يقال في وصلة المألوف افتتاح عبر استخبار على الة ...افتتاح بشربة الشعير المدلك بالسمن القديم وكثير من السلطة الخضراء سواء مختلطة Salade Variée او خص Salade de laitue او ما شابه... ثم...وهو المهم ذلك الطبق الرئيسي صاحب السمو "الكمونية " وهي مرق تتكون من كبدة الخروف وعضلة القلب والكليتين وبعض "الولاسس" لمن يعرف "السطط" ولمن يحب كذلك اللاسوق.

الكمونية يا احبتي هي مرق استثنائي لانها تقريبا الاكلة الوحيدة في نوعها التي يستعمل فيها الكمون فاستعمال الكمون معلوم لتفويج اللحوم او الاسماك وغيرها ...فقط الكمونية وشربة البرغل هما الاكلتان اللتان يُستعمل فيهما مادة الكمون..

الاجمل من كل هذا هو لو اقترن اول يوم من ايام رمضان مع يوم الخميس وذلك اليوم امر معلوم يقدر فيه طبخ الكسكس في مدينتي ...عندها يطفو للسطح صراع قديم متجدد بين اصول بربرية راسخة مع كل من قدم من عرب اعراب وعجم ومن ذوي السلطان الاكبر ...وترى ما تسمح به الثقافة وما تمنعه...

الاكل فن وزاده الاتقان والخبرة ولكن الاهم من كل ذلك هو العادة المتوارثة عن الاجداد فهي تختزل البساطة والجمالية والصحة معا

5.1. رأس السنة الهجرية

ومن عوائد الجارية ان ليلة رأس العام العربية (السنة الهجرية) يجعلون فيه طعام الكسكسى بالقديد و رأس الخروف المملح و الفول و تسمى هاته الليلة ليلة العجوز و و يضرب الأمير السكة (التقود) باسمه مؤرخة بالعام الجديد و يوزع جانب منها على الأعيان و رجال الدولة و يهنا أمير البلد بالقصائد لدخول العام الجديد المبارك و في ليلة رأس العام العجمي (الميلاد) تجعل الأهالي طعام الملوخية و البازين (أنواع من العصيدة) باللحم ولا نجد دارا لا يصنع ذلك تفاؤلا بان العام اخضر يعني خصبا ناعما.

6.1. عاشوراء

7.1. ليلة نصف شعبان

8.1. ليلة الاسراء والمعراج

9.1. الزردة

(الزوايا): المزارات

أما القسم عند الديني الملحق بعبضه بأفعال التعبد و بعضه يتعلق بشهوات النفس بصفة روحية
تؤول بها تشويقا إلى أن يقولون انه تعبد أو هو من قبيلة فذلك هو احتفالات الزوايا.

تبلغ الاحتفالات النسائية حدها من كثرة الزائرات و تباع الحلويات و بعض الفواكه بواسطة عزائز هذه صناعتهم ففي تلك الأيام ترى أفواج الزائرات عن تلك الزوايا مستصحات نذورهن المتنوعة لكل مدينة أو جهة مزارات و عوائد تخالف هذه مخالفة كبيرة.

العیساویة

تنسب هاته الطريقة للشیخ سیدي محمود بن عیسی المغربي المكناسي المتوفى سنة 933هجري (1526م) ولهذا زوايا عديدة بالحاضرة و لا تخلو بلد من بلدان الحاضرة من زاوية عیساویة و لهم شیخ مشاغ وهو صاحب زاوية الكبرى المسماة بسیدي الجاري بالحاضرة و مبنی هاته الطريقة على ذكر اسم الله لفظ هو یقفون صفوفاً و یذكرون هو هو و یلبسون أبداناً مثل الجباب من الصوف یتمنطقون بمناطق من الجلد او السعف مثل أولاد سیدي ابي الحسن الشاذلي و تجلس أمامهم طائفة من الأخوان یذكرون المجرّد وهو مدح في حق الشیخ یرتدونه بلحن خاص یصفقون بكفوفهم و الواقفون یرقصون على ذلك التصفيق أم بعد ذلك یذكرون عملیات أندلسية بالطار و الثغرات و البنادر و یسمونها لخماری فیتجاذبون على هذا العمل إلى إن یخرجوا عن الوحیدان وحدة العقل و یلزم أن یكون لكل ذاکر منهم شونشة شعر طویل برأسه تكون منشورة على أكتافه وقت صراعه و یتشكلون على أطوار من أمائل بعض الحيوانات الضارية فمنهم من یكون على شكل سبع ذي أنياب و اضافر یأكل اللحم حیث انه یرمى له كبش وقت صراع فنفري بطنه باضافره كما یفري السبع و یضل یأكل من لحمه ومنه من یكون على شكل نعامة تصبح فیأكل المسامير و أنواع الحديد و لقد شاهدت لنفسی من یأكل و منهم من یكون على شكل قط یأكل اللحم أيضاً و یصعد للاماكن المرتفعة و الجميع یأكلون الحشرات ذات السموم مثل العقارب و الحناش.

تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ سيدي عبد السلام الأئمر توفي 1573م دفن في طرابلس و العمل الجاري في كيفية ميعاد الشيخ هو أن يقف الزوار بمكان رحب على شكل حلقة و بيد كل واحد منهم دف كبير من الجلد ذو قرين بواسطة و يضربون جميعا يتكلم منشدا في حق الشيخ شيئا من المدح باللسان البريري على وزن مخصوص مقفى يسمونه في عرفهم بحرا بصوت رخيم عالي أسلوب بديع تستميل إليه النفوس و تنشرح له الصدور و الدفوف تنقر نقرا خفيفا ولما نسلت المنشد هويانا تضرب الدفوف ضربا قويا إلى أن يصير لها صوت عظيم و مثال تلك البحور كالبحر الذي من مدح الشيخ سيدي بن عروس وهو يا بن عروس افزع و تعال يا بو الصرائر و تعني .

هي طريقة الولي الصالح المجنون الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر و أتباع الطريقة كثيرون جدا ولما بين الناس شهرة عظيمة فكلما هم يميلون إلى سماع المديح القادرية و العيساوية يميلون أيضا لسماع مدح السلامة و يتسابقون عند أقوامهم لاستدعاء أصحاب هذه الطريقة جذب و ذكر و نفحات ولها أذكار قليلة و أدعية مخصوصة سلسلة السلامة الشهيرة المتضمنة للتوتيل بعدد وافر من الأولياء فالناس كما يستطيعون مدح السلامة و يتلونها كذلك لهم سماع قراءة السلسلة لأنها تؤدي بصفة لطيفة مقبولة في الأذواق .

شيخ العمل يسمى الزمزام و يغلب على أمداحهم اللحن الطرابلسي و تجرونها من وقوف على نقر الدفوف نقرا موزونا محكما و قد يستعملون الطار و الثغرات كما هو شائع في القيروان فأنهم ادخلوا عليها هناك تحسينات و امتدي بهم تتباع هذه الطريقة بنابل هذا وان

بعض السلامية الشهيرة المتضمنة للتوتيل بعدد وافر من الأولياء فالناس كما يستطيعون أمداح السلامية و يلتنونها كذلك مطيب لهم سماع قراءة السلسلة لأنها تؤدي بصفة لطيفة مقبولة في الأذواق.

شيخ العمل يسمى "الزمزام" و يغلب على أمداحهم اللحن الطرابلسي و تجرونها من وقوف على نقر الدفوف نقرا موزونا محكما و قد يستعملون الطار و الثغرات كما هو شائع في القيروان فأنهم ادخلوا عليها هناك تحسينات و امتدي بهم تباع الطريقة بنابل هذا و إن بعض السلامين يتخمر أثناء المديح وهو نادر جدا عندنا فيعمدون إلى خلع ثيابهم ولا يبقون على أجسادهم إلا السراويل و الجبة و يأخذون لفة كبيرة من الحلفاء يشعلونها و يدخلونها بين الجبة و أجسادهم وهم في حالة رقص فلا تحترق الجبة ... ولا يشتكون من النار ألما و يأخذون عمامة فينشرونها بين أيدي رجلين و يعرضون لتلك الحلفاء الملتهبة كرات متوالية فلا تحترق . و يعتمد بعضهم إلى قطعة من الحديد كبيرة فيضعها في النار النان تصير حمراء كالذهب ثم يلحسها بلبانه مرارا عديدة بدون ألما.

-زيارة الاولياء في تبرسق : سادة السفوح، جزء من تاريخ مدينتي

هناك حيث يرقد احد قضاة المدينة وايتمها الكرام ، على تلك الربوة المرتفعة والمطلّة على العمران من اسفله ومدخله الشرقي... لا اظنه اختار ذلك السفح المشرف على عين الماء "للا مسكة " هكذا عبثا... فالقضاة على عهد اولياء المكارم لا يفعلون شيئا عبثا لقد استوطن ذلك المكان لتشابهه مع موطنه الاصلي اساس...ولكن... وكذلك استوطن موقعا مشرفا ومطلا ومراقبا لزوايا ومقامات منافسيه الاجلة القدماء كـ "سيدي رحمة" وعلى جانبه "سيدي بلال" على سفح جبل سيدي رحمة ومن الزاوية الاخرى "سيدي المياسي" .في جبل المياسي او مدخل المدّرة". واخرون واخرون يضيق المقام لذكرهم .لقد قابلهما بكل اريحية و اقتدار... لقد نسج لنفسه وذريته ومن والاهم من ذوي السلطان والمال: زاوية وطريقة وزردة سنوية تنشد

فيها ابيات تحيي ذكرى ذلك الراقد في قبرة داخل الزاوية... وجرى على خدمته ابناؤه وحتى من غير سلالته واقامو الازكار والافراح "وقالو في خاطره " وحش قلبي بوزايدة يا حني" هاجر الولي احمد بوزايدة من الاندلس وهو قاضي واستقر واقام له مقرا بتبرسق وله احفاد بالساحل بجهة "سيدي عامر" لا نعرف عنهم الكثير

هو امام شلبي نسبة إلى شلب Silves بجنوب غرب الأندلس ارتحل على احد الروايات هو واخوته من هناك... احدهم استقر بالمغرب الاقصى وواثنان قصدا افريقية ولكن النبوغ ظهر على سيدي احمد ويقال شفويا "حمد" بسكون الدال خلف على اجيال متعاقبة عائلات متفرعة هي البوزايدي والاخضر والشلبي والامام.... وكلها فروع لاصل واحد استطاع لزمان هو وخلفه جلب الضوء وانصار الطريقة الى القلوب فاصبحت له زاويته.. فحضرتة.. فمقامه

...فتاريخه الذي تختلط فيه الحقيقة بالاسطورة والواقع بالخرافة هكذا او يكاد... يكون تاريخ اغلب اولياء افريقية الصالحين. ان ابناء وبنات هذا الولي الصالح يعتزون بانتمائهم وهم في ذلك محقون رغم انهم لا يعلمون او يعلمون القليل عن مرارة الصراعات والجهادات والمعارك الحقيقية والرمزية التي خاضها هذا الرجل ليصنع لهم ميراثا وعلما اعلى ثمنا من المال لقد صنع مريدين اوفياء لطريقته حتى من خارج العائلة في جو هو اشبه بالحرب بين رؤوس الاولياء الصالحين الافذاذ على طريقة سيدي رحمة وسيدي بلال وليس اخرهم سيدي المياسي اجل الله كل مقامهم ورحمهم ورحم خلفهم اجمعين

تلك كانت اطلالة صغيرة على احد اعلام المدينة وصانعي جزءا من عائلاتها وتراثها ان حكاية سيدي احمد ..حكاية وتاريخ يترددان كثيرا في ربوع افريقية والمغرب الاوسط والاقصى تكاد تتشابه مغامراتهم واثريهم وتأثيرهم... ويبدو لي ان النموذج البارز في هذا كما تقول الدكتورة الفاضلة المرحومة فاطمة المرنيسي عود على البدايات او الحاكمون بعد رحلة المشقة انها حكمة وحكم القادمون الجدد اولئك الذين تتجدد معهم المدينة... اعراقها ونسبها واجيال جديدة من النساء والرجال وحب جديد...وجمال جديد....ذلك هو سحر الاولياء وسر عبقريتهم.

10.1. الحج والعمرة

2- عادات وطقوس الاحتفال في المناسبات الاجتماعية بجهة باجة وأحوازها

1.2. الولادة

: *** عادات و طقوس الاحتفال في المناسبات الاجتماعية

تكون القابلة في الغالب عجوزا ولكن تكاثرت ألان القوابل المتخرجات من معاهد: **الولادة**

القبالة التي أسست بعد الاستقلال أو من كليات الطب و للقابلو كرسي تجلس عليه الحامل وهي تنادي (من عندك يا تيتي) و الحامل تنادي " يا رسول الله" و بعد الولادة تصنع عصيدة السنة أو الزرير وهو معجون فستق و يسمى على حسب ولي اليوم الذي ولد فيه او على اسم ولي الجهة (محرز بتونس المازري بيزاوية سوسة)أو على حسب الطريقة المنتمي إليها الوالد أو على اسم الجد و تقع الحفلات أسبوعية نختم "بالسابع " الذي تكون فيه دينية أو شاذلية أو سلامية.

يفطم الرضيع بعد المدة المعينة أو يفطم قبل الأمد إذا كان هنالك حمل جديد : **القطام**

يخشى عليه من رضاع الغيال و يلحق عجين الفستق و يعالج بتتقيع الفيجل إذا كانت عنده غازات و يفطم على المرو و الصبر حتى يكره ثدي أمه و تقع حفلات و من عادات القطام إن يرسل الأقارب و الأصدقاء "كالنسر و العظامة" أي سلة الهضام مغطاة بنسج الحرير و مسمرة بالأزرار في وسطها الفواكه اليابسة و الحلويات و الملابس و الألاعيب و في القطام يهنئ الناس عائلة المغصوم بقولهم "قطامة بلا ندامة".

عندما تظهر السن الأولى يصنع الكركوش وهو جمع الفواكه اليابسة : **ظهور الأسنان**

من جوز و لوز و بوفريوة و فستق و الملابس و توزع على الناس و تعطي للولد حلقة عاج تقوي اللثة و تساعد على بروز الأسنان وإذا أسقطت سن الرضاع الأول تلقى في البئر يقال أعطيتك سن الحمار فأعطني سن الغزال"

الولادة حسب محمد الحشايشي في كتاب العادات و التقاليد.

أنما كان البدء باهته المقالة لأننا اشترطنا ان نبين عوائدنا متدبرونا من الأرحام إلى إن نوضح في الرغام فتاتي فتاتي بتلك العوائق على حسب أصول الإنسان و تقلباته في هذا العالم منذ حياته فنقول * العادة عندنا معاشر التونسيين و أعراب قطننا (الأعراب سكان الريف و التونسيين سكان الحاضرة) أما التونسيين فان المرأة إذا حملت و ظهرها الحمل و الوحم يختار لها الأكل الطيب النقي القوي للبدن و ربما كان الجلجلان لزعم القوايل ان ذلك يشمل الولادة.

ولما يبقى الولادة مقدار شهري تؤمر المرأة بان تخطو على رجليها و تتماشى لان ذلك يشمل الولادة و في ذلك الوقت يشرع أهل العروسة في أعمال بشرط أن تكون العروس باكرا منها أن يحضر أبواها أثواب المولود من جميع لباسه و مأكله الذي يتغذى به المعتبر عنه بالعتاق (طحين الفواكه يعطي للرضيع بعد مزجه بماء يجعله سهلا من البلع كما يأتي بيانه .

و منها أن يرسل أبو العروسة في نفاس ابنته البكر جانبا من الدجاج و السمن و العسل و الزبد.

ومنها إرسال بسيصة وهي نوع من أطعمة البادية يجعل من شعير أو قمح بنضج و يؤخذ و يسحق جيدا و تخلط بالكمون.

و الحمص المنضج أيضا و العادة الجارية في هذه البسيصة أن يوزعها أهل العروسة على أقاربهم و أحبابهم في صحاف كبيرة الحجم بمقدار نصف الصاع التونسي زوج كيلو فما دون ولا اقل من النصف كيلوا ولما تبلع البسيصة إلى من وزعت عليه يعطون الموزع يدلها جانبا من الدراهم مقداره في الغالب من خمسة فرنكات إلى فرنكين على حسب الرفاهية فما يتجمع من تلك الدراهم يأخذه أهل العروسة.

و هذه العادة تكون في العام الأول من نفقة والد المرأة سواء كانت بلدا أو ثيابا و من الثاني وما بعده من نفقة زوجها و قد تكون من نفقة أبيها إذا كانت مشربا وهي من البدع التي لا تضر و عندما يشتد المخاض بالمرأة و يتكاثر الطلق تأتي القابلة بكرسي من اللوح مثقوب من وسطه كما ترى تجلس عليه المرأة ثم تجلس القابلة أمامها و تدخل يديها تحت المحل

باسطة كفيها تترقب بروز المولود فوق كفيها ناطقة بكلمة الشهادة مستغيثة برسول الله صلى الله عليه وسلم و بعض أصحابه و أولياء.

أما النافسة فلا تسمع منها إلا قولها (يا رسول الله . يا محمد يا سيدي النبي) تكون ذلك تبركا في تلك الساعة باسمه الطاهر الشريف و توسلا بحضرته الشامخة إلى ألب الكريم في سرعة خلاصها.

ومن العادة الجارية أن تجلس امرأة وراء ظهر النافسة تمسكها محضنة لها بيدها من فوق بطنها و تسمى هذه بالشداد يعني التي تشد بيدها و يرون ذلك أن من أسباب تسهيل الولادة ومن العادة الجارية أن يجعل تحت كرسي القايلة وقت الطلق إناء فيه مسمار و قرن فلفل شائع و شمعة و علبة كبريت و جراب قماش من حرير اخضر اللون صغير الحجم و ييخر مكان النافسة بنوع من الخزامى .

إما المسمار فيزعمون انه يزيل النفس (الإصابة بالعين) إي تنقب به عين المعيان وهو الذي تصيب عينيه الأجسام فتضرها وكذلك قرن الفلفل أيضا و يلزم أن يكون قرن الفلفل من الفلفل الأحمر الشائع كما علمت.

أما الشمعة فإنها تسرج بذلك الو قيد عند يزور الولد تفاؤلا بان يكون دائما في النور و موسى الذي تخص به سره المولود بعد ولادته خلاصه و الخيط الأحمر تربط سرته بعد قصها و الكمون تمضغه القابلة مضغا جيدا ثم ترشه على وجه المولود زاعمة ان الولد يكون بذلك الكمون صاحب حسن في ذلك وعند يزور الولد و الخلاص يؤخذ و يأذن في إذنه أبوه

أو احد أقاربه من الرجال الأذان الشرعي وهو الله اكبر الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله إلا الله و اشهد إن محمد رسول الله . حي على الصلاة حي على الفلاح . الله اكبر لا اله إلا الله.

ومن عوائد إن يألم المولود يجعل طعام من السميد و يخلط بالعسل و السمن يسمى في عرفنا العصيدة يأكل منه الأقارب و الجيران و عند العرب العرباء يسمى بالحرش ثم يلف الولد في قمط من الكتان نوع من القماش الأبيض على شكل مومياء و يجعل في مهد من اللوح أو جوز أو حديد كا على حسب سعته أو من نوع القصب.

ولا يتغذى في مدة السبعة أيام من ولادته إلا من ثدي أمه و بعدها يجعل له الطعام يسمى بالعاق مركب من الجو زاو الفستق أو غير ذلك من أنواع الفاكهة مخلطاً بسكر يكون ذلك غذاءه في مدة الستة أشهر في الغالب ثم يجعل له لون من الطعام أما من نوع السميد المنضج المسحوق ناعماً المخلط بالزيت الحلو أو من دقيق الدرع أو النشاء أو غير ذلك يكون ذلك طعامه في مدة ثلاثة أشهر في الغالب ثم بعد التسعة أشهر من عمره يأكل ما شاء من مرق اللحم أو الدجاج و بعض أنواع من الخضر كالقرع.

أما الحم الخالص فعادتنا أن لا يأكله المولود إلا بعد عامين أو ثلاث في الغالب و عندما يبلغ من العمر ما فوق الثلاث سنين يأكل ما شاء مما أحله له.

ومن عوائدنا دراجة من اللوح أو القصب يتدرج بها الطفل لتسهيل خطاه فمن ذلك المشي على قدميه قبل إتمام العام من ولادته و هذا قليل و منهم من يمشي بعد ثلاث السنين و الغالب في السنة الثانية يندح المولود و يجعل للمولود و النافسة شيء من الوشق (نوع من البخور يستعمل لتحصن من العين) بين أعينها يقولون أم ذلك يزيل النفس يعني العين.

ومن عوائد التمايم للمولود وهي حرز مثقوب تعلق في عنقه و الغالب أنها من شعار أهل باديتنا وهي في الأصل من شعائر العرب العرباء و بعضهم يجعل لهم حروز و يسمى أيضا حجابا .

و توضع داخل خرقة أو جلد بها بعض آيات من علم الله لآجل الرقيا المطلوبة شرعا تجعل في غلاف من الجلد و ربما تكون مطرزة بالفضة الخالصة وربما ذلك الغلاف من الذهب أو الفضة كما يجعلون للصغير أيضا قلادة من الحبوب القديم تجعل فوق جبينه ومن العادة ان يجعل لو أيضا عناج (حلية طرفها محني) من الذهب يعلق في عذارة و خلاخل من الذهب أو الفضة برجليه و ربما كان عناج وما شاكلة متنوع الألباس كل على حسب سعته.

ومن عوائد العرب أن تثقب أذان أبنائها و تجعل فيها أقراطا من الذهب الخالص أو الفضة و لا يكون ذلك إلا عند من كان ذا بيت كبير و نسب عظيم و تدوم تلك التمايم إلى إن يبلغ الصغير السنة الثامنة أو التاسعة فتزال بالمرّة و تجعل بدلها العائم أو الطرابيش كما يأتيك إنشاء الله ذلك في غوائد اللباس.

ومن عوائد الجارية انه لما تلوح أسنان المولود يجعلون طعاما يسمى الكركوش صفته هو إن يأخذ القمح ويطبخ طبخا و كذلك الفول و الحمص و الفاكهة بأنواعها و يخلطونها و يجعلون بها شيء من الدراهم و يصبون ذلك على رأس الصغير كالصب الماء فتلقته الصبيان و تأكله و الظاهر أن لفض كركوش مأخوذ من التكريشة وهو الشيء الذي الذي يطبخ في الكروش كما قاله صاحب القاموس .

ومن عوائدنا ان النفاسة بعد وضع حملها يشد وسطها حزام مكبوس لكي لا ترتخي بطنها و تمكث في الفراش سبعة أيام في الغالب لا تخطو و في اليوم السابع تأتي إليها القابلة فتثيها من الفراش و تندرج بها في الساحات منزلها حاملة المولود و بيدها سيف ثم تعود لمكانها و يجعل في يوم المذكور طعام العصيدة مثل يوم النفاس وفي تلك الأيام السبعة لا يباشر حركات المولود إلا القابلة أما أمه فليس لها إلا إرضاعها و هذه العوائد توجد منها البعض عند العرب إلا كرسي القابلة فلا يستعمل عندهم و يجعلون له حفرة في الأرض تلد فيها المرأة و منهم من تلد من غير ذلك و غالب تلك العوائد بل جلها من البدع التي لا يوجد لها في الشريعة المطهرة وفي يومنا هاذ ترك بعضها من تمسك ببعض العوائد في الولادة بالقابلة المتعلمة في المكاتب الأوروبية

إن الولادة عندنا ترضع ولدها حولين كاملين إذ أرادت :

*العوائد في الرضاعة

إن تتم الرضاعة و ترضع ولدها في العصمة و عند ذلك من العوائد الشرعية و الإحكام العرفية التي سببها إن شاء الله في محلها عندما تتعرض إلى الشروط النكاح و الطلاق و العدة و النفقة و الحضانة و شروط عيب المرأة التي تؤدبها و غير ذلك تفصيلا إن أمكن لنا ذكر ذلك ومن العائد الشرعية عندنا المولود الطفل وهي سنة مسحبة و بيانها هو إن يذبح عند سابع الولادة شاة من الغنم أو الماعز أو البقر أو الإبل و يشترط فيها مثل ما يشترط في شاة الضحية ولا يحسب في سبعة أيام اليوم الذي ولد فيه و تذبح ولا يمس الصبي بشيء من دمها و يؤكل منها و يتصدق و يكره إن يجعل وليمة وإن حلق شعره و رأس المولود و تصدق

بوزنه ذهباً أو فضة فذلك مسح حسن في الشريعة وإن حلق رأسه بخلق وهو شيء من الطيب أو الزعفراني بدلاً من الدم الذي كانت تفعله الجاهلية فلا بأس بذلك في الشرع .

ص35-36-37-38-39-40

كتاب العادات و التقاليد (الحل ناشي)

النفاس أو الحقيقة و التصبيحة – الكركوش – الختان : الأفراح بالقطر التونسي

إذا بلغت المرأة السابع أو الثامن من الشهر حملها عندنا بالحاضرة تراها و أهلها يتهيئون للضيف القادم كل على حسب سيعته فيعدون للولد ذكراً كان أو أنقى الملابس و اللباس المناسبة كالحوالي و القمطان و السواري و الطرازي و العصائب و الكفة المبطنة بالقطن و ما هياها أهل الزوج فيصنعون علاوة عما سلف ذكره البسيصة و الكمامن و اللعاق المتركب من الفواكه كالجور و الفستق و البفريوة و العسل و السمن و الزيت و يهيئون جانباً من الشموع و موسى لقطع السرة و غير ذلك فيصنعون جميع هذه الأشياء مصرفة بنظام في الكسترات المبطنة بالقطن و الأنسجة الحريرية و يرفعه أهل الزوجة إلى دار الزوج على أكف السودانيات فيضلين يزغردن طول الطريق إلى إن يصلن دار الحامل فيلقاهن من هناك من النسوة بين مظاهر السرور و تعد هذه الوليمة من الولات الصغيرة اذ هي قاصرة على إيصال تلك الأشياء فقط على الصفة المذكورة حتى إذا جاءها المخاض تأتي القابلة ولا تكون إلا عجوزاً و يصطحبها الكرسي وهو ذو متا داين بلا ظهرمتن بالقطن و القماش مفرغ وسط محل الجلوس كنصف دائرة فتجلس الحامل عليه و تتربع القابلة تحتها و تضع حذوها ما تحتاجه لإتمام أعمالها و تكون نسوة الدار ومن عساهن حضرن خارج بهذه المناسبات

ملتفات حول كراسي القابلة ويستمر الطلق و النساء جالسات و بخور الخزامى يتصوع من اليد أخر و تعمد إحدى الحاضرات وهي الشداد فتجلس خلف الحامل و قد وضعت يديها بعد دهنها بزيت الياسمين على بطن الحامل بصنعة خاصة متبعة اخدار الجنين يلف و رفق أن يبرز فتتلقاه القابلة بصنعتها المعهودة بين الاستغاثة و الدعاء و تشجيع النفساء على الصبر.

فإذا وضع الحمل تعشق القابلة و تولول فتقوم ضجة من الحاضرات بالزغاريد فإذا كان المولود ذكرا زغردن ثلاث وان كانت أنثى زغردن مرتين. فتعتمد القابلة إلى جسم المولود فتدهن يداها بالزيت قبل و تسويه و تتفقه بإمرار يديها بسرعة ثم تلفه بخرقة من الصوف و تشتغل بالنفساء و متى انفصل (انتهى) أمرها و حزمت بطنها بما هو متعارف عندهن وحملنها إلى السرير تكون القابلة اذ ذلك قد اشتغلت بالمولود فقطعت سرتة و مسدته و تتبعت غصون جسمه و لعفته و حلقتة ثم تقنطه و تلحقه بأمه ثم إذا كان المولود ذكرا ذبحوا دجاجة وإذا كانت أنثى ذبحوا ديكاً .

ودفعا للعين يضعون على السرير قشرة بيضة مخططة بالطول خمسة خطوط بالغنج (وهو غير المداخن) فتكون معلقة بخيط ومعها خمسة أو سبعة أسنان من الثوم ثم يجعلون بين عين النفساء قطعة مستديرة من الوشق صغيرا جدا دفعا للعين أيضا.

و تمكث النفساء في فراشها مدة سبعة أيام على الأكثر لا تفارق فيها السرير وهي محل الاعتناء من عموم أفراد العائلة فإذا جاء اليوم السابع وهو يوم وليمة و فرح عند آل النفساء و أحبابها تأتي القابلة حسب عاداتها في الصباح الأيام قبل لكن في هذا اليوم تسحم (أي تغسل)

المولود بالماء الساخن وتلبسه ثيابا فاخرة كان تعصب رأسه بعصابة من الحرير و تضع على رأسه طرطورا مطرزا بالفضة إلى غير ذلك ثم تكحل له عينيه بالاثمد و تزجج له حاجيته كذلك و تجعل له من الاثمد ما بين عينيه شبه خمسة دفعا للعين وان ذلك تكون النفساء قد قامت من سريرها فألبست ثيابا فاخرة و يستحسن أن تلبس النفساء ثيابا حمرا أو فيها اللون الأحمر .

فترفع القابلة المولود بين سديها و تخرج من بيت هي و النفساء على الولولة المتتابعة من النسوة الحاضرات الملتفات حولها فيطفن جميعهن بيوت الدار و سئاقفها متبعات القابلة المنهمكة في التعشيق و بيدها سيف قد سلته من غمده وكلما وصلت عتبة باب ضربت الباب بلطف ضربات متكررة وهي تعشق . فإذا انتهت من هذه الجولة القصيرة التي لا تفهم منها إلا التفاؤل بان يكون الولد من أرباب السيف أو ذات صولة تضع القابلة المولود على غربال قمح تفاؤلا بان يكون المولود فلاحا أو البنات ذات تعل من ارباب الفلاحة ثم تنقله إلى حجرها أو حجر أمه وذلك تأتي الحاضرات فيثقلبن المولود و يعطين لأمه قطع المصوغ أو بعض المسوغات الفضية أو الذهبية كل واحد حسب مقدارها .

ومما أعتيد انه في ذلك اليوم تذبح الذبائح و تطبخ الأطعمة الملونة و يعملون العصيدة وهي عادة عربية قديمة العهد و يجتمع الأحباب و الأقارب و يحيون الليلة بمانس نسائي كان يجلبون جماعة التي جانية أو الربانية أو العوادة وعن ابتداء الذكر أو الغناء تقام ولولة متتابعة مشفوعة بالترحيب وهو النقر على الآلات بصفة خاصة .

وهذه العوائد كان يشترك فيها الجليل و الحمير بدون ميز لكن إجراؤها بالأبهة و التناهي الاحتفال إنما هو وكل الحالة أصحابها إما في السنين الأخيرة فقد تنوسي معضمها لاسما عند علية القوم و الجانب الافر من الطبقة الوسطى لأنهم عدل وعن الكرسي لما ينشاه عنه من ضرر وصار يجلبون القابل العارفات بصفة فنية الحاملات للشهادات العليا و تركو استعمال ألعاق المولود مقتصرين على لبن أمه وتركوت لفة ذلك اللف عند المناسب من تعصب رأسه و تغطية إذنيه و رقبتة حتى لا يشب كثيرا العلل و الأمراض و أشياء أخرى اتبعوها لا تنكر منفعتها البتة و قد اعتاد بعض مدن هذا القطر أنهم إذا بشروا بولد ففي اليوم السابع يستدعون تلامذة احد الكتاتيب القرآنية فيدخلون إلى الدار و يترنمون بقصائد و أقوال منظمة لا باس بها وبعد الاستمرار على ذلك الساعة زمانية يختمون أناشيدهم بقراءة الفاتحة و يأكلون من العصيدة التي يقدمها لهم رب المحل ثم يبعث بشي من المال إلى المؤدب مع اكبر التلامذة و ذلك على وجه الإحسان و تسمى عندهم هذه العملية التصبيحية و هذا ما ينشدونه

قومي ارضعي نبينا

"حليمة يا حليمة

ارضعيه أليميننا

قومي ارضعي محمد

شوقا له و رفقا

قومي ارضعي حقا

محيا مثنينا

ترين منه صدقا

الكركوش

هي حفلة صغيرة شائبة تجري عندنا متى تظهر أسنان الرضيع ذكرا كان أو أنثى تجربها ذوو اليسار من سائر الطبقات سما إن كان الرضيع فريدا في العائلة ا واتها على الاشتياق و قد قل استعمالها و تنوسيت بالمرأة فلم يبق لها اثر إلا عند ذوي اليسار العائلات المحافظات على تمتنها القديم و تفصيل هذه العملية كما يأتي .

يستدعى ام الرضيع صوحياتها و أقاربها للحضور في يوم معين معلنة لهن إقامة حفلة الكركوش فيأتينها مصحوبات بصغارهن و صغار أقاربهن و تكون هي قد هيات الدار بالفرش المناسب و الرياش و الأثاث و أحضرت ألوان الأطعمة و يحمل كل من في الدار بثياب الزينة ثم تكون قد أحضرت من قبل جانبا و افرا من الفاكهة جوزا و لوزا و فستقا و بندقا و زيبيا و تمرا مخلوطة بحبوب القمح و الفول و الحمص المطبوخ في الماء فتفرش زريبة كبيرة و تأتي عجوزا فتمسك إمامها الرضيع برفق و تمسك امرأة أخرى مرآة على رأس الصبي قد جعلت سماعها للأعلى و يتجمع حول الرضيع من في الدار الصبيان فتاتي امرأة أخرى بمحرمة أو من حرير قد وضعت فيها الفاكهة فتصب ذلك بسرعة فوق تلك المرأة فتتناثر الفاكهة حوالي الرضيع فيتخطفها الصبيان بسرعة و تكون الحاضرات قد استغرقن في الضحك و الجذل و السرور و الولولة و ربما من قبل صانعات الربابية فتجري الحفلة على رثاث الترحيب و تنتهي هذه العملية بتقديم بعض هدايا للرضيع فهذه الحفلة تقام تفاؤلا بان يكون بخت الرضيع سعيدا حفيفا غير مشؤوم ولا تقبل ولا متعسر وربما أقيمت في تلك الليلة حفلة نسائية.

ولا اعرف عندنا احتفالا للفظام و لا لتدرج الصبي على ساقيه لكن اعرف ان الصبي اذا بلغ من العمر عاما جعلوا بالحناء أي يحنون له يدا واحدة و ساقا واحدة ولا اعلم السبب الواعي

لكن على كل حال قد نوسي أمر التحجيل وقل استعماله.

***القصة :** سمى عندنا العكسة وهي لف شعر البنت بخرقه حرير أو كتاب ذات ذنب عريض من الأسفل مطرزا بالحرير أو المنبت بالفضة وإدارة شريط من الحرير على الخرقه من مجتمع أصل الشعر إلى منتها.

فإذا بلغت البنت عندنا السادسة أو السابعة من عمرها و أخذت شعر رأسها في استرسال ركبوا لها العكسة فلا تحلها إلا لاج لان تمشط شعرها في دارها او في الحمام و تزيلها تماما عند تركيب الصبغة و تأهبها للزواج. فتركيب العكسة لأول مرة يجرى له احتفال نسائي بسيط مثلما يجرى عند وضع البنت بدار المعلمة التي تعلمها الطرز و الخياطة و تدبير المنزل.

2.2. الختان

تسمى عندنا "الطهور" ومباشرة لعملية الختان يسمى الطهار و محل الختان نفس الصبي يسمى الطهارة و صناعة الختان تسمى الطهارة ايضا يقوم بها جماعة من الحلاقين المشهورين ولهذه الصناعة أصبحت خاص يرجع إليه في أمورها بصفة فنية تنتخبه الحكومة من بين أفراد تلك الصناعة و تسمية بأمر علي اختاره السيد محمد بن منصور إما الختان الأطفال فليس له عندنا سن معين أو محدود بل الجاري به العمل هو من السنة الخامسة إلى السابعة و يستحسنون الخامسة دفعا للعين .

ولكل بلد من هذا القطر عوائد مخصوصة في الختان بحيث إن وليمة تكبر و تصغر بحسب العائلة و الوسط و السعة و العسر و الذي كانت جرت عليه العادة في حاضرتنا أنهم لا

يخلقونه شعر الولد بل يتركونه و يجعلون له منه قصة مصففه على جبينه فلا يخلقون رأسه إلا بعد الختان .

فإذا عزموا على الطهور و هيئوا لوازمه من ملابس و زينة و أثاث و حلويات و غير ذلك سيما كسوة المطهر المتركة من شاشية مطرزة بالفضة و العدس و غليله و صدرية و سروال كلها من نسيج الحرير العال مطرزة بالفضة و العدس أيضا و منطقة من الفضة و عناج من الذهب و هو عبارة عن سلسلتين قد أحاطا بالذهب بدون ملائمة و شدتا من وسطها في طرفي الشاشية مما يلي الإذنين و تركت أطرافها الأربعة مرسلة من الجهتين معلقا من طرفي كل جهة شبه هلال أو هالة تساوي في الحجم قطعة الخمسة فرنكات الفضية لكنها منقوشة نقشا تونسيا جميلا على الفراغ و مرصعة بالحجارة الثمينة و خلاخل من الفضة أو ذهب وهي عبارة عن خمس حلقات منقوشة توضع في رجلي الصبي فأنهم عند ذلك يفتتحون السرور بما يعتبر عنه عندنا بالمستأذنيات وهو خروج امرأتين أو ثلاثة متزينات بثياب فخره يطفن على دور الأحباب و الأقارب فكلما وصلن إلى دار تتعرض لهن النسوة في الدار بالولولة و البشر و الترحاب فيدخلن الدار و يجلسن برهة رثيما يشربن القهوة و يتطيبن بالطيب من طرف المدعوات في تلك الدار ثم يبارحن المكان إلى الآخر ثم بعد خمسة أو ستة أيام يقع تركيب الصبغة للمطهر و يذهبون به إلى الحمام و في الليلة الموالية يشرعون في الحناء حيث يحنون يديه و رجليه و جميع من في الدار من النسوة يشاركن المطهر في وضع الصبغة برؤوسهن و الحنة بايديهن و أرجلهن وفي الليلة الثانية الحنة و تسمى ليلة الوطنية – يجتمع عدد وافر من النسوة بدار المطهر و يقع الترجم بالعليلة عند الحناء سواء من

الحاضرات أو بواسطة الرابية أو العوادة . وإذ ذاك ترمي النسوة المدعوات في طبق صغير من الفضة تمسكه الحنانة شيئاً من النقود فضة أو ذهباً .

أما الليلة التي تلي ليلة الوطنية فتسمى ليلة الراحة و الليلة التي بعدها هي ليلة الطهور وفي الغالب يحيون هذه الليلة بعوادة أو ما شابه ذلك و يوم الطهور يكون الرجل قد دعا أقاربه فاحياه من قبل الطعام اي لتناول الطعام الوليمة فيأتي المدعوين أفواجا فيطعمون جماعة ثم جماعة على نغمات العوادة أو مديح أجدى الطرق أو بدون ذلك.

وفي اليوم نفسه يكون المطهر قد حمل بثيابه و سرجه مع بعض الأقارب إلى الكتاب مصحوبا بالسودانيات الحاملات للشموع و الخمس وهي شموع تشابه الأكف و رجل يحمل مرشا من الفضة مملوءا بالمياه العطرية يرش بها كل من اعترضه في الطريق و آخر بيده مبخرة منفضة يحرق بها العود و العنبر فإذا و صل والى الكتاب تخرج جماعة التلامذة و تحلق بالمطهر و تشرع في الترجم بالقصائد سائرين الهوينا و أولئك النسوة يولون من أن إلى آخر فإذا وصل الجمع الى الدار يتلقى الولد من اول هلة طهارة بغاية الشاشية و يستمر تلامذة الكتاب على ترنمهم و بيد كل واحد أنية فخار جديدة عند صالحة الاستعمال بمجرد وقوع الختن يلقون تلك الأواني في الأرض دفعة واحدة و يعلو ضجيجهم بالقصائد كما يعلو ضجيج النسوة بالولولة يستعملون ذلك كب لا تسمع ام الولد ولا أبوه بكاء الولد ابنها عند إجرائها التي تصارع تفوق عند بعضهم براعة احذق الأطباء فعند انتهاء الأمر بوضع الولد بالسريير في حجر امرأة وسط في السن فتاتي الأصحاب و الأقارب و يسلمون المطهر المصوغ و المال و التحف و أشياء اللعب و بعد خروج الرجال يفعل النساء ما فعله الرجل من تقديم الهدايا للمطهر.

واليك شيئاً من التعليّة

طهر يا مطهر	صح الله يدك
لا تجعل وليدي	لا تغضب عليك
طهر يا مطهر	تحت الدالية
وطهار وليدي	صبحت بارية
طهر يا مطهر	طهر لا تخاف
طهر وليدي	على طرف اللحاف
أولك مطهر	و عقابك عروس
وحصانك يولول	ما بين الغروس
أولك مطهر	و عقابك شباب
وحصانك يولول	ما بين العزاب
ويني أم المطهر	ويني عمته
تجي ترمي الدراهم	على تعليله
ويني أم المطهر	ويني خالته
تجي ترمي الدراهم	على عمارته

كتاب التقاليد و العادات.

تقع له حفلة تسمى الهاللو فيخرج أبناء الكتاب في استعراض مع مؤدبيهم معهم طفل أختان وقد لبس اللباس الفاخر المطرز بالفضة وهم ينشدون.: الختان

"و هلولوا و كبروا تكبيرا"

صلوا على محمد كثيرا

ثم يأتي الطهارة و معه عونيه فيصعد ذلك العون إلى السطح و بيده قدر من خزف و حينما يصبح الطهارة كمشلاء يلقي العون القدر فتحدث دويا لإبعاد العين و اهرب الدم من محل الجرح و الهاء الطفل فتكون صدمة العملية مجرد صدمة خوف من دوي القدر الواقعة من السطح.

وتصنع مآدبة و يأتي الناس فيهدون المختون المال و التحف و قد صار للختان ألان عملية جراحية بسيطة يقوم بها الطبيب في الغالب ومن عادات الختان ان يختن مع بعض أبناء الفقراء و اليتامى و صارت المجالس البلدية تقوم ألان بهذا العمل اكبر ختان في تونس كان لأبناء المعز لدين الله الفاطمي الخليفة الفاطمي وقد ذكر ذلك تفصيله المعتريزي في اتعاظ الحنفاء ويلية ختان أبناء علي باشا بن حسين و قد ذكوه الكاتب حمودة بن عب العزيز في تاريخه الكبير التنازع الباشي.

3.2. الزواج

خطبة الرضاء أو التقليل- قراءة الفاتحة- الأملاك -العقد -الصبغة -القرش -الوطية- الإطعام -ليلة العرس -الصباح -الثالث - السابع

- كتاب الأغاني التونسية(الصادق الرزقي) (ص 175-188)

-كتاب العادات و التقاليد التونسية (الحشاشي) ص 356-361

-كتاب التقاليد و العادات التونسية(عثمان الكعك) ص 89-93

* الزواج حسب عثمان الكعك (كتاب التقاليد و العادات التونسية)

الزواج خطبة و فاتحة و أملاك و عقد قران و زفاف و ثالث و سابغ فالخطبة تقع من اعيان البلد يتقدمهم شريف او شخصية علمية مستشهرة أو شخصية سياسية مرموقة يستجاء فيه بعلم سيدي عبد القادر الجيلاني فيقولون "جنناك خاطبين راغبين في بنت الحسب و النسب" و يتولى احد الحاضرين مدح عائلة الخطيب و الآخر مدح عائلة الخطيبة و يقع اختيار أما السابق المعرضة إذ كانت هناك قرابة أو مصاهرة أو

مجاورة أو بواسطة "البدوة" أي "المظاهر" وهي حفلة دينية تقع في الزوايا في الخريف تصحبها حفلة غناء ديني فيه طبلية و رباب تسمى الربابية وتكون الفتيات مزينات حاضرات مع أمهاتهن فكل من لها ولد في سن الزواج تختار من تستحسنها من الفتيات أو تكون بواسطة الخاطبة وهي يهودية أحيانا .

و الفاتحة إبرام ثان و هناك فاتحة رجال و فاتحة نساء يرسل الخطيب إلى خطيبته قطعة حلي أو هدايا و تحفا و يأتي المهنون و المهنيات و أملاك هو إرسال النقدي ربعة المناسبة

و تكون هناك ربعة صغيرة فيها أنواع العطور و طوابع البخور و هناك شمع المزين "الخمسة" وهي شمعة بشكل أنامل اليد لإبعاد العين و هناك اسفاط محشوة بالقطن و ملبسة بالحريز تكون فيها الحناء و السكر و ماء الورد لصنع "شربات الأملاك" التي توزع على الحاضرين فب العقد و يرسل الأملاك على الخيل و معه الطبال السرناي و الناس ينشدون "رحمان يا رحمان ماني عبدك

و اليوم يا رحمان قاصد فضلك"

و تفتش الأزقة المؤدية إلى بيت العريس بالرمل حتى لا تسقط الخيول ثم يأتي الناس للتفرج على الأملاك من باب المفاخرة و يطبق عليهم بالحلويات

*عقد القران : ويسمى في تونس "كتبان الصداق" يقع في جامع أو زاوية مشهورة

أو بحضور عدول العقد و الشخصيات المرموقة وكذلك المدعوون فتتلى خطبة و يقع الإجابة بالقبول و الأحباب ثم تتلى الفاتحة الكتاب و يبخر المكان و يرش الحاضرون

بالطيب و توزع عليهم كؤوس الشربات وهي ماء محلول فيه سكر و مطيب بماء
الورد و غيره ثم يقف أبو العريس و دونه أبو العروس لقبول التهاني.

*** ليلة الزفاف :** يرسل العريس إلى العروسة "السفساري" وهو لحاف من حرير

و عدد من عربات الخيول أو السيارات و يذهب جماعة إلى دار العروسة لاصطحاب
الموكب وهم ينشدون يا مرحبا بأولاد سيدي

طلوا جماعة

سلوا سيوفهم لماعة

ركبوها فوق الجحفة

بنية تحفة

ياما احلي قدها في اللحفة

ركبوها فوق جمل

سالف بالتل

بنت العرب ما تحمل ذل

و كبوها فوق قعود

سالف ممدود

شيعوها بالبارود .

وتخرج العروس مع أمها و مشطتها و تتركب العربة الأولى و على كرسي العريبي
الماشطة و الزنجيات بالشموع و الإنشاد و إطلاق البارود و الزغردة ثم يتقدمها أبوها
و يده على رأسها فيدخلها غرفة زفافها و تكون هناك جوقة تشد "الترحيبة" و يدخل
العريس فتكون ليلة الدخول.

فتبقى حصة قليلة بعدان تغلق الماشطة باب الغرفة على العريسين و يرفع هوستار
الزفاف عن وجهها و يصلي ركعة التبريك و يكون "العراصة" وهو أصحابه يطرقون
الباب الخارجي بعنف فعندما تخرج يعطي شيئاً للماشطة فان كان كثيراً علمت انه
مسرور فتستطلع ام العروس الخبر و يلاقيه العراصة فمن قبله منهم أولاً كان رفاقه
في السنة .

و مع العراصة زعيم يسمى السلطان هو آخر متزوج في السنة يرشد العريس إلى
واجباته الزوجية و يذهب العريس إلى دار العراصة للعشاء و الاستماع إلى حوقة
الطرب ولا يكون دخوله الفعلي إلا في الليلة التالية و يقضي سبعة ايام و سبعة أيام
زائدة.

و العريس يكون " سبعة أيام سلطان" و سبعة أيام وزير و طول العمر أسير لان
العروس تحب القمح من المنذرة و الزيت من المعصرة و الكسية معمرة.

وليلة الزفاف هو ليلة التجليلة تنصب العروسة على منصة و حولها الحاضرات و هن صغار العرائس و حديثا عهدا و حوقة الطرب و "العشاقة" تعشق وهي امرأة "تعشق الناس في الليل" و تناجي هكذا مع إطلاق البخور .

اليوم خميس و غدوة خميس

حاضر محمد و غايب إبليس

يا ماذا تريح و تنال

عيد صلي على رسول الله

ومن الغد تكون النصيحة فيأتي أقارب العريس و يسلمون على العريس و يهدون لها الهدايا من الحلي ثم يكون يوم الثالث وفيه يهدي والد العريس دورة الحمام وهي سطل و طيفوز و طفالة قاي طاسة و بشكير و زربية الحمام و يشري السمك فتقفز عليه العروسة مع زوجها و السمك لإبعاد العين دائما ثم يكون السابع و فيه تقع مبائن دينية و جوقات طرب و الأعيب مسرحية و في العرس وفي مرقو وكل حد يرفع دلقوا.

هذه عادات الزواج إلى عهد قريب وهي إلى تكاليف و مصاريف و فيها يدعو خارجة على السنة و صار الزواج يتعذر على الكثير و تحذو الكثيرين إلى التداين أو حتى الإفلاس وذلك قاومته حكومة الاستقلال بما فيه من البدع و سيرته على السنة و جردته من مظاهر المباهاة ومن المغالاة و المصاريف المادية و في الأكثر فيكون الزفاف في غاية البساطة .

و بأثر الدخول يذهب العروسان لقضاء شهر العسل في رحلة زفاف.

احتفالات الزواج حسب الصادق الرزقي

كتاب الأغاني التونسية

طهر يا مطهر صح الله يديك

لا توجع وليدي لا نغضب عليك

طهر يا مطهر تحت الدالية

وطهارة وليدي صبحت باريه

طهر يا مطهر طهر لا تخاف

طهر لي وليدي على طرف اللحاف

أولك مطهر وعقابك عروس

و حصانك يولول ما بين الغروس

أولك مطهر وعقابك شباب

و حصانك يولول ما بين العزاب

ويني أم المطهر ويني عمته

تجي ترمي الدراهم على التعليلة

ويني أم المطهر ويني خالته

تجي ترمي الدراهم على عمارته

عبرنا عنها بالجمع لأنها متعددة وهي " التقلاب أو خطبة الرضا - قراءة الفاتحة - الأملاك

- العقد - الصبغة - الفرش - الوطنية - ليلة العرس - الصباح - الثالث - السابع.

التقلاب أو خطبة الرضى: تقع الخطبة عندنا بواسطة خاطبة يهودية أو مسلمة مقابل اجر

تتقاضاه عن ذلك من جهتين و تارة لا تحتاج الخطبة إلى واسطة بسبب قرابة أو مصاحبة.

فإذا وقع التقلاب وهو أن تذهب أم أو قريبة الشاب المخطوب له إلى دار المخطوبة و تقلب ذات البنت يقع الاتفاق على الشروط المتبادلة بعد البحث فيها بين الطرفين و عند ذلك يعين يوم لقراءة الفاتحة.

قراءة الفاتحة : إذا تعين بين النساء يوم قراءة الفاتحة يذهب ولي الزوج مع رجلين أو ثلاثة من ذوي الوقار إلى ولي البنت فيخطبون منه البنت فيجيب بنعم فتقرا بينهم فاتحة (مؤقتة)- و تسمى هذه العملية خطبى الرضى- إذا أن من الناس من يعتني بقراءة الفاتحة فيدعو لحضورها الأقارب و الأحباب و يجريها في المسجد أو زاوية و بعد إجابة والد البنت لوالد الشباب بالرضى تذهب أم الشاب إلى دار المخطوبة مصحوبة بجماعة من النسوة يرفعن معهن صحنًا من البلور المذهب أو من الفضة مملوءا بالحناء.

كما تصطحب الأم معها قطعة من المصوغ – سوارا أو خاتما مرصعا بالحجارة الثمينة- مع قطعة ذهبية من المسكوكات يعبر عنها في هذا الشأن ((بطابع الحناء)) .

فتتلقاهن النسوة في دار البنت بغاية الفرح و السرور والولولة. وإذ ذاك تكون البنت قد تزينت بثيابها فاخرة فيخرجنها لأهل الشباب و الحياء و الخجل يزيدها حسنا و بهاء.

و قد أسدلن على وجهها قطعة من النسيج حريرية شفافة جدا تسمى الخامة. فتقدم أم الشاب إليها بمزيد السرور فترتفع الخامة عن وجهها و تعانقها و تقبلها قبلات عديدة ثم يقبلها بقية النسوة المصاحبات لام الشاب. ثم يجلسنها أمامهن على كرسي قد اعد لذلك وهي صامتة لا تكاد ترفع عينيها من الأرض خجلا فيأخذن بيدها اليمنى فيضعن بكفها القطعة الذهبية و يخضبن الكف بالحناء بحيث انه يبقى لتلك القطعة اثر مستدير بكف البنت بعد إزالة الحناء

و ظهور خضابها. و في أثناء الحناء يقع التعليل و التعشيق ثم بعد انتهاء الحناء تذهب البنت مع بعض قريباتها إلى بيت آخر و حينئذ تبسط مائدة المرطبات و الحلويات بين أيدي أولئك الأصهار فيتناولن شيئا طفيفا و ينصرفن مشيعات بالولولة و الدعاء بالخير.

الأملاك: (كان المقصود من هذه الكلمة هو تملك العصمة) و الأملاك أما أن يقع فيه دفع المهر وهو الغالب وأما ان لا يقع . فإذا كان الأول فيستلزم ذلك إجراء العقد و حينئذ تكون الحفلة للرجال بالعقد و للنساء بالأملاك كما سيأتي بيانه. و أن لم يدفع المهر المنفق عليه فالعقد يؤخر إلى ما قبل الزفاف بأيام قليلة.

و الأملاك هو انس شتري الرجل عدة شمعات طوال و خمسة أو اثنتين من الشمع و ركيزة أو اثنتين من الشمع أيضا و جنباً من القوالب السكر الكبيرة الحجم الهرمية الشكل في استطالة يكون عددها بالفرد و جنباً من طوابع العنبر و عود القماري و قنينات من العطر و جنباً من (الفواشيك) المياه الذكية كالياسمين و الورد و حصيرة مملوءة بورق الحناء و جملة تقارطا حريرا و مثلها من الحرير المنسوج بالفضة و ربة من فضة او صدف و قطعة كبيرة من القماش الحريري العال تصلح ان تكون كسوة للباس النسوة و أشياء أخرى كمرآة من فضة أو صدف و صحن من الفضة و كيس من الحرير مطرزين بالفضة توضع فيهما اليدان بعد الحناء و مدية صغيرة من الفضة لتسوية الحناء.

فجميع هذه الأشياء تزخرف و تنظم و ترصف بالكنسترات المبطنة بالقطن المكسوة بالنسيج الحريري الأخضر أو الأحمر . ثم ان جميع الأشياء المذكورة ترفع بواسطة الحمالين وعلى اكف السودانيات بالتعشيق و الولولة إلى دار البنت. ثم بعد حين تلتحق

بالأملاك جماعة الزوج من النسوة كوالدته و قريباته ومن عساهن دعين لهذا الغرض
فيمكنن عشية أو عشية و ليلة يكن فيها محل اعتناء و التبجيل من أهل الزوجة و يخضبن
بالحناء يدي البنات مرة أخرى على رنات التعليل الذي تجريه الربابية أو غيرها.

العقد: إذا كان الأملاك مقترنا بالعقد فان أم الزوج تحمل معها في وسط الربعة مبلغ المال
المتفق عليه و يكون قطعاً فضية ذات خمسة فرنكات وفي عشية ذلك اليوم يتم العقد.

و تفصيل ذلك أن الزوج يستدعى الأعيان و الوجهاء و جميع الأحاب و القرباء لحضور
العقد في اليوم الذي يعينه و يكون يوم اثنين أو خميس غالباً . وربما طبعوا أوراقاً ووزعوها
في ظروف معنونة بأسماء أصحابها فإذا قرءوها وجدوا بها جميع البيانات التي تكفيهم
مؤونة السؤال عن المحل و الوقت . و حفلة العقد لا تكون غالباً إلا بمسجد جامع أو زاوية
الشهيرة. فإذا جاءت صلاة العصر ترى وفود المدعويين اتبين جماعات و فرادى فإذا قضيت
الصلاة واستقر بهم المقام اقبل العدلان المعينان من طرف الزوجين للأشهاد على إتمام
العقد. فإذا كان من بين المدعويين احد الشيوخ من مجلس الشرعي أو العلماء انتدب لقراءة
خطبة النكاح فلا يمانع .

و الخطبة تحتوي على جمل بليغة في الحمد و الثناء على الخالق جل شأنه متضمنة أحاديث
شريفة في الحث على الزواج . وإذا لم يكن احد الشيوخ هناك فان احد العدلين هو الذي
يتولى قراءتها بصوت عال و يكون كل من وليي العروسين جالسا أمام العدلين .

فبمجرد انتهاء الخطبة يقول احد العدلين لوالد أو ولي البنات هذه العبارة ((يا سيدي فلان أن
سيدي فلانا يخطبك في ابنتك العذراء الحسيبة السيدة فلانة و ذلك لابنه الشاب المسمى فلانا

على المهر الذي اتفقتم عليه فان رضيت بذلك فقل له "زوجته إياها") فإذا قال ولي البنت هذه الجملة يقول له ولي الشاب ((قبلت)) فيقول العدلان "ألف الله بينهما" و تمد أيدي عموم الحاضرين لقراءة الفاتحة و يطاف على الجميع باكؤس الشربات المعطرة ثم يرشون بمياه الياسمين او الورد و يقف كل من والد الزوج و الزوجة بباب الجامع فيقبلان تهنئة المدعويين بتبادل القبل في الأفواه او في الكتف مع جملة التبريك و دعاء الخير.

ومن العوائد ا ناهل البنت هم اللذين ياتون بالشربات للجامع هي و من يتبعها من (الكيسان) الاكؤس و الأطباق و المرش و المبخرة و الشمعة التي تسرج أمام من يتلو خطبة النكاح كما يبعثون في هذا اليوم قلة أو قلتين من الشربات إلى دار الزوج وعند الارجاع يبعث الزوج مع تلك القلة الفارغة هدية مناسبة.

و المهر عندنا على حسب حالة الزوجين فقد يكون مائة فرنك و قد يكون ألافاً .

الفرش: ومن المقرر في بلاد هذا الإقليم خصوصاً الحاضرة أن الزوجة تأتي بما يعبرون عنه بالفرش علاوة عن الجهاز . و الجهاز هو (لن البنت اذا ترعرعت يشرع أبوها في شراء الأقمشة المتنوعة لها من الحرير و كتان و غير ذلك فتفصل الأقمشة و تخاط و تطرز فتكون منها أثوابا عديدة متنوعة و ملاحف غيرها.

أما الفرش الذي تأتي به فهو يتركب غالبا من مضربتين محشوتين بالصوف و جرايتي ناو ثلاثة و قعادتين او ثلاثة . وثلاثة مساند وعدة مخادد وخديديات متنوعة و غطاء من الصوف او الصوف و الحرير مما يصنع بجربة أو قفصة أو توزر و زربية كبيرة تسمى زربية الحمام ومن خزانيتين او (فلصين) لوضع الأثواب ومن كسوة بيت وهي أردية ((

ستائر)) الباب و الشبابيك و الحفة الجراري و اردية الفراش هذا علاوة عما سيأتي بيانه في محله

الصبغة: هي عبارة عن مزيج يصنعه النسوة و يطلي نبه شعورهن لاعطائها لون السواد بعد غسلها . وهو يتركب من كمية كثيرة من العفص المقلي لدرجة الاحتراق المسحوق بعد سحقاً ناعماً ومن كمية قليلة من عود القرنفل (المجلوب من اسيا) المقلي المسحوق كذلك ومن كمية من الحديد المسحوقة ايضاً ومن نسبة معينة من ماء المغلي فيه القمام ومن زيت الزيتون التي يطبخ جميعها طبخاً جيداً حتى تتداخل جميع تلك الاجزاء في بعضها تداخلاً تاماً . و كثيراً يستعملن شيئاً قليلاً من ذلك يسمى الدبغة يزججن به حواجبهن بكيفية غليظة تمثلهن من بعد كالأوضاع جواجب مستعارة ركيكة . اما الحرقوص فهو مزيج يتكون من عسيلة تنشا عن ضغط دخان العفص و العود قرنفل في دائرة اسطوانية ملساء جعل فيها محلول الحديد المكون يالحك فوق تلك الاسطوانة او الغطاء الذي له خارج عمودي ناتئ في الوسط من حيث يمسك فيغطي به قدح صغير هرمي الشكل قد وضع فيه العفص و العود قرنفل و سد بذلك الغطاء سدا محكماً ووضع على النار حتى يحترق ما في بطنه فيبخر الغطاء فتتكون المادة المذكورة .

وهو من مواد زينة الوجه ذات المكانة عند جل نساء القطر التونسي يوشحن به وجوههن و تتزايد توشيحاته في وجه المرأة بحسب ذوقها و حضيرتها (1) وجل النساء المتمدنيات على اسلوب الحديث و تركز استعماله الان بالمرءة . ولا يقتصر عمل الصبغة و الدبغة و

الحرقوص عندنا على موكب العرس فقط بل كلما عن للمرأة ذلك صنعتها للتجمل بها امام زوجها . لكن عمل ذلك لا يجوز للبنت فان اول عملية تعمل لها تكون بمناسبة الزفاف.

فاذا قرب الزفاف تدعو ام العروس الاقارب و الاحباب و تاتي الحنانة وهي امرأة تقوم بتحسين بزة العروس و تهيئتها لعريسها. فاول شئ تشرع فيه هو احضار الصبغة و يجري الاحتفال بتركيبها للبنت في موكب حافل بالتعليل و التعشيق والولولة (الزغاريد) و كل من في الدار من النسوة يركب الصبغة اثر العروس . وفي صباح اليوم الموالي يذهبن بالعروس الى الحمام فيدخلن العروس اليه بالتلهيل و التكبير و التعشيق و الولولة و بعد الغسل يقفلن راجعات وفي الليل يشرعن في الحناء للعروس فيحنين لها يديها و رجليها وكذا النسوة الحاضرات يحنينا ايديهن و ارجلهن ايضا فتستمر الحناء ثلاث ليال (1)وفي الليلة الرابعة و تسمى ليلة الوطنية يتجمع بالدراجم غفير من البنات و تقع في العشي شبه تصديرة اي يجلسن على الكراسي صفا واحدا متجملا بالثياب الفاخرة و المصوغ الثمين . وفي الليل تخبص يدا العروس وجملة صويحاتها من البنات الملتفات حولها وحينئذ يقع التعليل بواسطة الربابية او التجانية و ربما وقع اهداء اشياء للعروس وهو ما يعبر عنه بالرمو (من الرمي) وفي الليلة التي تلي ليلة الوطنية وهي ليلة (الراحة) لا يحنى للعروس.

رفع الفرش: قبل ليلة الزفاف بيومين يرصفون الفرش بوسط دار العروس صباحا اذا في العشي تاتي جماعة من طرف الزوج (ولية ومعه بعض الاحباب و الاقارب) و يكون والد

العروس واقفا بباب الدار ومعه ايضا بعض الاقارب و الاحباب فيدخلون جميعا الى الدار .
وبعد ما يشاهدون ذلك الاثاث يدعون بالتوفيق و يقرأون الفاتحة و يرفع الفراش على ظهور
الخيال التي يكون قد استاجرها العريس من قبل لخصوص هذا الغرض ومن العادة ان
يركبوا على الخيل الاطفال الصغار يمسكون الشئ المحمول على الخيل التي تسير تباعا
واحدا اثر واحد . و تتجمع في الامام جماعة من الطبقة السفلى يصفقون بايديهم تصفيقا حادا
و يقولون بصوت عال على نغمة واحدة.

رحمان يا رحمان ماني عبدك و اليوم يا رحمان قاصد فضلك(2)

أو يقولون :

بسم الله العظيم الرحمان الرحيم.

ولا يزالون يكررون التغني بذلك مشوا مسافة وقفوا و داروا حلقة واحدة فينتقدم لوسط الحلقة
زعيم منهم فيصيح بأعلى صوته قائلا"

الله يحجب على اولاد حومتنا.

فيصرخ الاخرين بأعلى اصواتهم قائلين :

فيقول الزعيم = الله يحجب علينا وعلى عروسنا.

فيصرخ الآخرون بأعلى أصواتهم قائلين .

او يقولون كلاما اخر ثم يعودون الى ذلك التصفيق و التغني . يقفون اثناء الطريق عدة
مرات يفعلون فيها كذلك و يعودون الى السير و التصفيق و التغني الى ان يصل والى دار

العريس فيضعون الفرش بوسط الدار و ياكلون شيئاً من الحلويات يتخاطفون ذلك بينهم بلعب و سرور و يذهبون في حال سبيلهم. اقول " ورفع الفرش على هذه الصورة لم يبق جاريا الا عند الطبقة السفلى.

واذا كانت اواسط الدور عندنا مكشوفة لا سقوف لها (وهو ما عليه جميع الدور في كافة القطر الا ما ندر جدا) فقد اعتيد في الافراح ان ينصبوا عليها خباء وقاية من الشمس او المطر و البرد و ينصب هاذا الخباء ليلة الزفاف بايام و يبقونه الى ما بعده بايام ايضا. وقد ضمنوا معنى ذلك في الاغاني حيث يقول صاحب هذا العروبي "

نصبوا الخبا يوم الاثنين و اسنادنوني نجيم

و الفرح في الدار الاحباب يا رب كمل عليهم

و قال اخر*

نصبو الخبا يوم الاثنين واستاذنوني نغني

و الفرح في دار الاحباب يا رب كمل وهني

وفي ليلة الراحة ينام العريس في فرشه الجديد وحده و يبعث اهل الزوج ادا العروس طبقا مملوءا بالحلويات يسمى ((عشاء العروسة)) ثم من الغد يرجع الطبق فارغ.

ومعه هدية للعريس تكون (فضلة كرمسود) او كشطة مطرزة او ما شابه ذلك . وفي هذا

اليوم تشتغل الحنانة بعروسها ويشتغل اصحاب العريس بعريسهم ومعه الحجام (الحلاق)

الذي يقوم مقام الحنانة حيث تحسين بزة العريس و الباسه ثيابه ومن الاداب عندنا ان تحجب

العروس عن ابنيها حياء منه اثناء هذه التحضيرات كلها و كذلك الولد عن ابيه. فالعريس يستعير دار احد احبابه ليجتمع فيها هو و اصحابه بعد خروجهم من الحمام حيث يحلق هو واصحابه بالدار المذكورة و يلبس ثيابه الجديد هناك و يقبل ضيوفه و احبابه و يخرجون به الى داره من هناك ايضا و يقيمون بها ليلة العرس احتفالا خاصة ولذا يطلق عليها (دار العراسة).

الطعم : اما دار العريس فتكون قد زينت وهيئت لقبول المدعوين للطعم اذ في اليوم الذي يحتفل في مسائه بالزفاف يقع الطعم عادة وهو عبارة عن مائدة تبسط فيها انواع الحلويات و الاشربة و المعاجن و المركبات يدعو لها والد العريس كافة احبابه فيتناولون شيئا من ذلك جماعة بعد اخرى على رنات و ترنمات العواد او بعض الطرق.

و هناك من يعدل عن طعم فيجعله عشاء فعوض ان ياتي المدعوون صباحا ساتون عشية لكن العشاء لا يقتصر فيه على الحلويات بل يضيفون اليها انواعا عديدة من اطعمة اللحوم و الاسماك و الطيور و المخللات و انواع الفواكه و الغلال .

ليلة العرس : وفي المساء قبل صلاة العشاء تكون العروس قد اخذت اهبتها وازينت فبيعت لها العريس عددا من العربات يكون بالفرد مصحوبة بالفنارات و جماعة من حاشية العريس و امرأة من طرفه. فاذا وصلت و دخلت المرأة الى دار العروس يتلقينها بالولولة و يدخل اقرباء العروس ومن كان محرما لها فيجدونها قد تهيأت والتحفت بصنjq "تبركا" و كذا جميع النسوة قد التحفن وتهيان للخروج معها و العوادة اذ ذاك ترحب و تعلل بهذا

المغني الذي معه(1)

قعدوها قعدوها في بيت بوها

ولاش تبكي يال خوها ويزيد بوها

بالدراهم بعنوها

يا للا مبروكة السعد على مميل الشاشية

على البنية على البنية ما اعز عندي كان هي.

فتقبل اهلها فرادى و يهدون لها اذا ذاك المصوغ و المال فتستلم ذلك امها بالنيابة عنها . ثم
تقبل يد ابيها بمزبد الحياء و الخجل فيضع يده على راسها و يسير بها الى العربة فتركب
هي و حنانتها و امها بعربة مستقلة ثم يركب النسوة المصاحبات لها في العربات الباقية .
فتسير العربات الهوينا بين الفنارات و الشموع المسرجة و الولولة من النسوة اللاتي
بالعربات . وفي اثر هذه العربات عربة حاملة لولد العروس و جماعته فعند الوصول الى
دار العريس يتقدم والد العروس فياخذ بيد ابنته و ينزلها من العربة و يضع يده على راسها
و يدخلها الى بيتها ويخرج بسرعة فيتعرض له والد العريس فيتبادلان الهناء و ينصرف في
حاله هو و جماعته .

اما العروس فتاخذ الحنانة بيدها و تجلسها بوسط البيت بعد ان تنزع عنها اللحفة فيلتف
حولها جموع النسوة و يجري هذا الموكب بترحيب الربايبية.

وفي ذلك الحين يؤتي بالعريس و قد التف حوله اصحابه و اصحاب ابيه و اقاربه وذلك بين
الفنارات التي تسير امامه و حوله فيجد اباه بباب الدار فيضع العريس برنسه على راسه و
يقبل يد والده بغاية الخجل و تقرا الفاتحة. ثم يضع الوالد يده على راس ابنه و يدخله الى

بيته و يخرج بسرعة. حيث تتلقى ام العريس ولدها فيقبل يدها فتضع له الحنانة امام بيته
كرسيا امام العروس و تناوله كاس من الشربات فيشرب منه شيئا ثم يقدمه لعروسه فتتناوله
منه بخجل و تشرب منه شيئا و تسلمه الى الحنانة فتسرع هذه باعطاء ايديهما الى بعضهما
فيدخلان الى بيتها فتغلق الباب خلفها. فيجلس العريس عروسه على كرسي ثم يصلي
ركعتين شكرا لله . وبعد ذلك ياخذ بيد العروس فيجلسها على حافة السرير و يقبلها بين
عينيها و ينزع من يدها سوار او خاتما يضعه حذوها على المسند و يخرج فاتحا باب البيت
فيعطي للحنانة عطية مالية مناسبة كما يفعل مثل ذلك مع جماعة الربابية المستمرين على
الترحيب و تسمى عطية الحنانة (فلوس السكرارة) و عطية الربابية (فلوس الترحيبة) و
يخرج في الحين فيجد جماعته في انتظاره فيقبلهم واحدا بعد واحد ويسيرون به الى دار
العراصة.

ومما جرت به العادة ان العريس يقيم حفلة انس في هذه الليلة تتركب من العوادة يدعو إليها
كافة احبابه. فتمر ليلة انس يخلع فيها العذرا و ربما تليت فيها الخطب و انشدت فيها
الاشعار تهنئة للعريس.

اما النسوة فيحتفلن بعوادة او تيجانية لكن بعد خروج العريس تنصب موائد الطعام و تعتني
حاشية العريس بحاشية العروس. هذه هي حفلة الزفاف

الصباح : اما صباح العرس فانهم يوقظون العروس من النوم و تعتني بها حنانتها فتلبسها

افخر اللباس و المصوغ ثم تجلسها بوسط البيت فتصدح العوادة بالترحيب واذا ذاك يجري ما يسمونه (التصبيحة) وهو تقديم الهدايا للعروس من الطرفين ثم يخرجن بها الى وسط الدار و تكون الكراسي قد صفت يمينا و شمالا فيجلسن العروس على كرسي عال في الوسط و يجلس حولها (الشابات) – النسوة اللاتي لم يزلن في عنفوان الشباب – متجملات باحسن الثياب و افخر الحلي و ربما ابدلن ثيابهن مرات عديدة تظاهرا او تفاخرا فتدوم هذه التصديرة الى ما بعد الزوال و العوادة تترنم بالحانها و الاتها و افواج المتفرجات الواردات من الخارج يتزاحمن لرؤية التصديرة و سماع الاغاني . ثم تبسط موائد الطعام وبعد تناول القهوة ينفضن الموكب و ترجع كل عائلة الى محلها.

ومما جرت به العادة ان العريس في هذا الصباح يبعث الى داره باطباق مملوءة بمشامم (الباقات) الزهور و قراطيس اللوبان و السواك(قشر عروق الجوز المستعمل لتحميم الشفاه) فتستلم الحنانة ذلك و توزع على المتصدرات الباقات و فصوص اللوبان و قطع السواك.

ويقضي العريس هذا اليوم في التفسح و الانفاق على اصحابه حتى اذا جاء المساء اشترى شيئا من الزهور و تحفة صغيرة (مثل صندوق به بعض الروائح الذكية) واتي الى محله مشيعا من اصحابه . فاذا دخل الدار اقتبلته النسوة بالولولة و تتعرض له الحنانة فتأخذ بيدهو تجلسه حذو عروسه و تتداخل بينهما بالنكات الادبية المضحكة التي من شأنها ان تزيل حجاب الحياء للحد المباح بين العائلات . ثم توضع امامها مائدة الطعام . وبعد تناول شيء خفيف عن حياء من طرفين تعمد الحنانة الى العروس فتزعمها اثوابها المطرزة و حليها و تبدلها بثياب خفيفة صالحة للنوم و تتركهما وقد اغلق العريس باب بيته.

ومما جرت به العادة ان العريس عندنا يفيق من نومه و يتناول طعام الافطار يخرج من الدار و يجتمع باصحابه فيكلف من يشتري له جانبا من السمك فيرجع بذلك السمك الى الدار بعد حين فتعرض له العروس و تاخذه من يده بنفسها.

الثالث : الاحتفال بالثالث بسيط جدا وذلك ان العريس يدعو محارم زوجته كأبيها

وعمها و خالها و اخوانها لتناول طعام العشاء عنده فيلبون الدعوة و يتناولون الطعام و ينصرفون في حالهم. وربما اقام العريس احتفالا في هذه الليلة بجماعة من جماعات الطرق ودعا له احبابه و اقاربه.

وجرت العادة ان يبعث اهل الزوجة لابنتهم في يوم الثالث تحفا و اشياء عديدة تحمل الى الدار الزوج مثلما يحمل الاملاك الى دار العروس . وهذه الاشياء كلها كماليات وهي تتركب غالبا من احذية متعددة للبس العروس و تحف من البلور و عدة فواشيك من مياه الزهر و العطرشية و النسري و الورد الياسمين و خزانة صغيرة و جانب من القوالب (الصابون المسك) و قارورات (حقق صغيرة) من الطيب (الزبد و الشنودة وزيت الياسمين و العطورات) و سطل (طست) من نحاس و طفالة او قبطاسة صغيرة وطاسة حمام و عدة كاسات و محكات و غير ذلك وربما بعث بعضهم مع الثالث بعدة تحف فضية – ان كانوا من ذوي اليسار.

السابع: قل ان يحتفلوا بالسابع في الحاضرة اما في البلاد القطر فيحيون ليلة السابع بجماعة من جماعات الطرق هذه هي عوائد الزفاف عندنا بالحاضرة وقد عوض بعضهم شيئا منها بعبادات جديدة.

اما في بعض مدن القطر فانها تخالف عوائدنا ولذا اردنا ان نلخص المهم منها في العجالة
الاتية ملمين بما هو مخالف للحاضرة من العوائد و اليك البيان.

***احتفالات الزواج حسب الحشايشى*- كتاب العادات و التقاليد التونسية/**

انسان واحد من صاحب الدار و يصرفون في ذلك زيادة على العادة و تسرج فيه جميع
المنابر بالمصابيح ليلا و يحيون لياليه بالالعب على انواع كما مر ذلك و تسرج فيه
المساجد ليلا لاداء سنة صلاة التراويح وفي منتصف الشهر تبتدى اختام الحديث منها رواية
و منها دراية في جوامع البلد و مساجده و مدارسه و يحضر الوالي بنفسه في غالبها تبركا
بالحديث الشريف .

اما الموكب في الختان فقد مرت لنا عوائد قد مر انه يجعل في الختان سماع و هذا السماع
نص عليه الامام الغزالي في الاحياء (1) قال " ان سماع يجعل عند الختان وعند حفظ
القران وهو جائز لكنه شافعي المذهب و كما قال" وهو مباح ايضا ان كان ذلك السرور
الذي وقع الغناء لاجله مباح كالغناء في العيدين وفي العرس و في قدوم الغائب وفي وقت
الوليمة العقيقة و عند و لادة المولود وعند ختانه

الوليمة في الاعراس و الزواج وما يتبع ذلك من العوائد الجارية في القطر عموما"

العادة في ذلك ان الزوج بعد الخطبة يرسل المهر و اعلاه ثلاث الاف فرنك الا الامراء و
الوزراء فيزيدون على ذلك الى العشرين ثم يرسل مع مهر هدية تسمى الاملاك.

وهو صندوق صغير مجلد بصفائح الفضة او الخشب مرصع بالصدف وفيه مهر مصرور
في مناديل من حرير مخلوط بالفضة ثم صندوق اخر اصغر من الاول من الفضة او الذهب
احيانا مقسم الوسط به قنينات مملوءة اعطارا و اسفلها انواعا من طيب البخور العنبر و
القماري ثم حقه من الذهب.

كيفية الاملاك و اثاثه اللازم(1)

فيها قطعة كبيرة من سكة الذهب اما دبلون من السكة الاسبنيول او قطعة مائة ريال ذهبا
لتوضع في كف العروس عند وضع الحنا ثم حصير او ازيد مملوء بالحناء الورق مخططة
على شكل مدور لكي تحفظ و تلف الحصير في ملاحف من القطن او الحرير ثم صحن من
الزجاج او الفضة به شكل كالعصيدة من الحناء موضوع في طبق من السعف مكسو
بمنسوج من الحرير او الفضة مغطي بمنديل مثل ذلك ثم قطعة من المصوغ مكلل بالاحجار
التمينة ثم حزم من الشمع الابيض كل معصبة بالتقاريط الحريرية او الفضة من الثلاث حزم
الى العشرين ثم شمعتان او اكثر كبيرتان نحو الاسطوانة معصبتان ايضا ثم خمسة اي
شمعة كبيرة على صورة كف الادمي طولها نحو الذراعين فما فوق و تارة تكون ازيد من
واحد كلها من الشمع معصبة كما ذكر باشكال حسنة ثم اطباق كبار من السعف قنطار فما
فوق من السكر الاتبيض ويرسل ذلك الى دار العروسة مع الاقارب الزوج من النساء في
الساعة الثالثة قبل الزوال و في الليل تسرج دار العروسة التي قد زينت ودعي اليها النسوة
من الاقارب و الاحبة و تزين العروس باجمل لباس ويوضع على راسها رداء من منسوج
الفضة الثخينة وعلى وجهها برفع من الحرير الصيني او الفضة ثم يهدي اليها ممن حضر
مال لا ازيد فيه من مائة ريال فرنك ثم تحني يدها بالحناء المهداة بعد وضع قطعة الذهب

المذكور في كفها الايمن و ينفصل الموكب بعد ان تعشى النسوة الضيوف و يفطرن صباحا و يتهيا ابو العروسة بعد ذلك لانفاق الاموال.

ما يجعل للعروسة من اللباس من جيب ابيها"

فيجعل لابنته ملابس لا تلبس الا يوما واحدا كالقمجة الكبرى وما والاها وهي جبة من نوع الفضة المنسوجة ثخينة ثقيلة تتكلف بنحو الف فرنك و يتبعها سراويل مثلها وهكذا مما يلبس الا يوما او يومين مع لبسة اخرى معتادة للتجمل و العادة مما يكفيها سنة او تزيد مع كسوة لبنت زوجها من فرش الصوف و الاردية و الستائر للابواب و الاسرة و المتكآت كلها من نوع القمجة من الفضة و العدس الذي لا تكتسي به البيت الا اسبوعا واحدا فيصرف ابوها اضعافا اضعاف المهر و بعد اسبوع من عرسها تباع تلك الشياء بما لا يبلغ الربع من ثمنه الاصلي. وعند العرس يحضر الزواج داره و يبقى بيته فارغا الا احد مقاصره مثلا يجعل فيه ما تاتي به المرأة كما يجعل الاسرة بالبيت .

اثاث بيت العروس و الساعات و المرايا و البساط:

وقبل ليلة العرس بيومين تستدعى الاحباب من كل على ان تكون الملاقات في احد المساجد عند الصلاة العصر لمن دعاه الزوج واما المدعوون من الاب الزوجة فيقدمون الى داره توا ثم لبو الزوج او وكيله مع من دعاء لدار الزوجة وبعد الجلوس في الدار وهي مزينة و بوسطها جميع الجهاز الذي احضره للعروس ليرفع لداره على هيئة منظمة.

العادة في الخطبة:

يخطب الخطيب وهو احد الشهود المتخذين الشهادة صناعة و تارة لبعض الاعيان يخطب احد اهل المجلس الشرعي او غيرهم من العلماء ويقع الايجاب و القبول. ولا يكون من الزوج و الزوجة بانفسهما بل ان كان لهما اب فهو اولى او ولي اخر او وكيل وبعد ذلك تقرا الفاتحة من الحاضرين الذين يبلغون احيانا الى الف فما دونها و تضيق بهم دار الزوجة و ربما لا تتحملهم الدار لانه كثيرا ما لا يتفاهم الاصهار على عدد المدعوين وان وقع التفاهم وكانت الدار لا تحملهم جعل العقد في احد المساجد او الزوايا ليسع الجميع ثم يسقى الحاضرون ماء محلي بالسكر فيه انواع الطيب ثم يرشون بمياه الطيب و ينصرفون الا الخواص من الاحباب فيرفعون الجهاز على الحيوانات خيلا او بغالا و يطاف به في البلاد ليرى مبصر ويسمع واع ونفرش به بيت الزوج.

وليمة العرس:

قبل ليلة العرس بيوم تصنع وليمة بالحلويات الخفيفة على مائدة مستطيلة كبيرة في احدى البيوت المتسعة حولها كراسي و يدعى اليها مئات من الناس اول النهار الى ما بعد نصفه كلما جاء فوج ادخل اعيانه كما تقدم في موكب طعام الختان المسمى بالطعمان نصا سواء فراجعته ان شئت وقد يعوض هذا الطعمان بالوليمة وهي عشاء بعد منتصف النهار محتو على مطبوخ من اللحم و الطير و السمك و الحلويات على حسب الرفاهية على مائدة واحدة و تدخل عله الناس كما مر غير ان الاكل منه اكثر من السابق وان لم يكن حقيقيا للشعب وقد يعوض عن الجميع بوليمة ليلة العرس لمجرد احباب الزواج و اقربائه ثم يؤني بالعروس بعد الغروب هي و اقاربها في كراريس يرسلها الزوج ويهدى الى العروس في ليلة العرس ما يسمى (قصان الدلال).

ما يهدي الى العروس ليلة العرس:

و الهدية على اقربائه وكذلك في ليلة الوطية.

وطية الكبرى وما يهدى فيها:

وهي قبل العرس بثلاثة ايام للحنة للعروسة و المهدي قرابة العروس كما تهدي العروسة للزوج و بعض الرجال من قرابتها كأبيها و اخيها شيئا من المجوهرات او الملبوس.

العروسة الكذابة :

وبعد خروج العروسة من دار أبيها تجتمع حثالة النسوة اللاتي يردن الذهاب الى دار الزوج ويوقدن تلك الشموع ويذهب معهن اقرباء العروس من الرجال ومن اتى لمصاحبتهم من اقارب الزوج لكن هؤلاء يمشون في مقدم الموكب و الاخرون في اخره و النسوة في الوسط ويصرن يولولن في الطريق ويدققن الابواب ويصرخن يا سعد يا سعد.

دخول الزوج على عروسه :

ثم يدخل الزوج على عروسه و يعمل الخلوة الصحيحة و يخرج ولا يبيت ولا يعروس (1) الا ايام الاعراس ليلة الجمعة و الاثنين و الخميس ولا يعرسون في شهر المحرم تشاؤما وبسبب ما تقدم من كثرة المصاريف عضلت (2) بنات من يخشى على عرضه و تفقرت اقوام.

عوائد الاعراس في البلدان غير الحاضرة :

وقريب مما مر يقع البلدان و المدن يخرج فيه ذلك بعادات العربان وهي ان بعد الخطبة و العقد يرسل المهر ومعه شئ من الملبوس او المصوغ ثم ابو الزوجة يكسو ابنته وعليه شئ من لباس الزوج ثم ياتي بالعروس لبيت زوجها في محل هودج كالفص الكبير على ظهر جمل مزين بالثياب الرفيعة و المحلي وحوله افواج من قرابة الزوجين باحسن لباسهم و الطبل يعزفو البارود يصرخ و تارة الخيل و الفرسان تلعب الى ان تصل الى بيت زوجها و يجعل لهم الزوج وليمة.

وليمة العرب في العرس :

قسم للرجال وقسم للنساء فيعطي لكل شخص لحمة في يده من رجل او امرأة واللحم موضوع في قفة ثم تقدم قصع الكسكسو ولمن اخذ لحمة فودها عضما ان يردها و ياخذ غيرها ثم يدخل الزوج على عروسه و يتزوجها في تلك الليلة خلاف عادة اهل الحاضرة من التزوج بالمرأة في الليلة الثانية واذ ذاك يطلق البارود وتعلن النسوة بالولولة ثم يبقون بين غناء و سرور و الغناء من الغنائين و الرجال تمدهم بالمال شيئا فشيئا لكن يعطون قطعا من النحاس فلا يصرفون كثيرا غالبا و النسوة ضاربات خمرهن على وجوههن وهن منصتات وتارة يغنين و الرجال يسمعون كما اناهل الحاضرة يحضرون اهل الموسيقى في ليلة العرس وعند الوليمة وتحضر معهم عاهرات مغنيات اذ مطلق النسوة لا يغنين ابدا ولو بين ايدي ازواجهن و الغالب على اهل الموسيقى ان يكونوا من اليهود لان اكثر المسلمين يتحاشون منها كما علمت في مطلب الصنائع

4.1. المأتم

مطلب في المأتم وما يتبع ذلك من العوائد الجارية في الحاضرة

إذا مات ميت بكى عليه النسوة برفع صوت و تارة ينحن عليه وقد قل ذلك و الحمد الله و
المنة وهو من البدع النهي عنها في الشريعة الغراء وعند خروج الجنازة يفعلن مثل ذلك ثم
عند الاتيان بما يغطي به النعش بعد الدفن يفعلن ذلك وعند الموت يفرغ بيت الرجل مما من
الأثاث واما المرأة فلا ثم يحضر قراء يقرأون القرآن حوله وهو مكروه شرعا للاجتماع
على صوت.

3- طقوس "حلان الحزام:"

"قالتلها وينك اليوم يا مرا جيت نضرب عليك ما لقيتك ... قتلتها نسيت ما قتلکش مانا مشينا
حلينا حزام المسمية , بنت الحاجة؟"

وتواصل الحوار بينهما بغزارة ولكني لم انتبه له من شيء ...لانه ادهشني ذلك التعبير "حلان
حزام " الى درجة ايقنت معها اننا لا نعلم الكثير عن عاداتنا التي اندثرت في جزء كبير
منها.... "حلان الحزام " هكذا منطوقها...

منذ زمن اعرف هذه الكلمة اسمعها . قل هي اول لحظات احتفالية الزفاف
لكل علامة مستويان :مستوى المعاني المتلقاة المقبولة كما هي ومستوى المعاني الضمنية
وتسمى الإيحاء . الحزام علامة له وظائف متعددة منها؛ الوظيفة الجمالية، حفظ القوام،
وإظهار الرّشاقة. ووظيفة خفّة أكثر تعبيراً على معانيها

فالمعنى المباشر هو ادخال الخفة وسرعة الحركة والجمالية وحسن القوام وأما المعنى الخفي
والكامن لهذا الطقس باعتباره رمزا فيتمثل في كونه يشير إلى انخراط العروس في الحياة
الزوجية، واستعدادها لمواجهة المسؤولية الملقاة على عاتقها من جهتين الماديّة والمعنوية:
فكيف اذا نفتح هذا الحزام ؟ "نحل الحزام ؟ لماذا نحله والحال ان وظيفته كما راينا فيها من
الوظيفية والجمالية ما يجعلنا نغلقه "سكر الحزام؟عوض فتحه؟

تَرتبُ بهذا اليوم عادات لا بدّ من اتباعها، ومراعاتها، فتتقضي التّقاليد ان حلان الحزام يتم في
احد ايام احتفالية العرس عندما يحمل اهل العروس القفة او العلاقة هو اول التحام فعلي بين
العائلتين المتصاهرتين بشكل احتفالي. سناخذ الامر من اخره ففي تقاليد المجتمعات المحلية

بالجزائر تعرف عندهم عادة تسكير الحزام باعتبارها خاتمة لفترة راحة العروس ايام العرس حين يتم إعفائها من كثير من الواجبات للتجمل وتتمتع بايام السبعة للزفاف ،و لتبدأ بعد هذا اليوم يوم السابع (اسبوع بعد العرس) في تحمّل المسؤولية، والقيام بما تفرضه قواعد الحياة الزوجية يغلق حزامها بنفس احتفالية "حلان الحزام... قفة سعف وفواكه ولوبان وحلويات ومر وصبر والحديدة وبنت المخيط.... لتثمر العروس على ذراعيها لحياة زوجية غير حياة الصبي والشباب.

الان يمكننا نفك شيفرة حلان الحزام ونفهمه على انه فك الارتباط بالواجبات اليومية والتعب وغيره والتفرغ للراحة والتجميل والاناقة لاسبوع كامل هذا المعنى المباشر اما المعاني الضمنية ساتركم تتصورونها لانه لا شيء يقال فيها غير انها من اسرار النساء. اما عن شكليات حلان الحزام فتكمن في تلك القفة قفة السعف وما حملته الى العروسة للتجميل من حنة وسواك ولوبان وحلويات وفواكه ودبلج وحديدة وكحل ومراية...شيئ لها واشياء لتوزعها واشياء للاحتماء من السحر وعمل المكروه...

"قالت لها هي واش غنيتو في حضرة العروسة جاوبتها ماهو كيف العادة:

عروسة ريحتها تسلب الأنظار حنة و حرقوس مالين الدار

عروسة الزين والدمعة على الخدين القلب فرحان حزين على العيشة عند الوالدين

خلات فريشها و ريحة بوها و ميمتها إن شاء الله تنهنا"

يا للا مدي ايدك للحنة مدي يدكا يا"

هل هناك من يمكنه ان يضيف لي بعض المعاني والامور التي لم انتبه ربما لها عند تتبعي لهذه الطقوس الجميلة في بلدي

14 - يوم الزفاف

في بلدي يسمى يوم الزفاف "المرواح".... لا ادري لماذا سمي هكذا ؟ولكن الاكيد ان المعني واضح فيه، فيقال "نهار المرواح" وفي اللغة اليومية يقال "روح" راح الى او ربما رجع وعاد الى منزله دار سره ومضجعه... وكان من بين ما تتغنى به نسوة البلد وهن محتفلات بالعروس اغنية مطلعها:

"روح يا للا روح لا تبات" يخاطبن به العروسة حتى يهونن عليها فراق منزل والديها وقبول منزل الزوجية.... فبعد ان "تحجب" اي تغيب عن اعين الناس لمدة طويلة حتى تنعم وتبيض بشرتها ويصبح لها سر جمعتها طيلة ايام.... يكون يوم "المرواح" اول ايام خروجها من منزل علقت فيه سنوات وتبدأ الرحلة الاخيرة بحمام العروسة وفيه تلقن اشياء واشياء وتتجمل بعده وتخرج باهاجيز الزغاريد والغناء "الف ولا تزيه.." بالهاء كما تسمع.

اما العريس في صباحه يذهب هو كذلك الى الحمام ثم الحلاق وتقام له الحلاية حتى تحل عليه زوجته ويعتزل الشارع في حجة مع وزيره وحافظ سره واصدقائه ويتخذون القصابة انيسا الى موعد "المرواح" فيحمل فوق اعناق الرجال الصناديد ويتغنى من بين ما يتغنى به الرجال على عهد جيلي ومن سبقتي باناشيد تثير شعر الجلد كالشوك وحال نصهم يقول :

"مولاي صلي وسلم دائما ابدا على حبيبك خير الخلق كلهم"

ثم " الصلاة والسلام على النبي سيد السلام" وكأنها بداية خلق جديد.....

اصوات وحناجر وزهير رجولي يقتلع الغرس من ارضه اذ يقتلع بداية جديدة من نهاية عسيرة.... من العزوبية الى الرجولة الكاملة.... في بلدي يتغنى الرجال بنفس تلك الاناشيد والاغاني عند مراسم جنازة الاعزب.... الامر ليس غريبا فهذه اللحظة هي كذلك اقتلاع لبداية جديدة من نهاية عسيرة من حياة عزباء قاحلة الى قبر يزف فيه الاعزب كالعروس.

عندئذ ادركت ان اللحن المتغنى به طارب وبه مفارقة عجيبة جدا فهو عرائسي وجنائزي في الوقت نفسه... فيه تلتحم مراسم الزواج ومراسم الموت كأنه واحد وان اختلفت فهي اعلان لبدايات جديدة.....

في بلدي المغنى له معاني مفارقة "المرواح": "روح يا للا روح لا تبات" روح الله روح لا تجي "اواه من ذلك اليوم المريع حين كان الزواج زواجا والموت قليل ومريع لقد تربت فيه اجيال على عادات المورسكيين العائدين من الاندلس... انهم ينتظرون الى اليوم "نهار المرواح" العودة الابدية(هناك من احفاد العائلات من يحتفض الى الان بمفتاح منزل الاجداد في قرطبة) حيث ولدو وحيث منزلهم الازلي وهم كذلك يتغنون عند مراسم الجنازة كما تغنو حزنا واسفا على وطننا هجروا منه عنوة يوم غنوا

"يال قومي ضيعوني:

.....و رأوا قتلي مباحا

للمنايا أسلموني عندما سلوا السفاحا

سرت لما تركوني إملأ الدنيا نواحا

ضيعوني ببديل ما به بعض الجمال

و لهم كم من قتيل بلحاظ كالنبال

تلك قصة "المرواح" في افراح واطراح بلدي اردت منها ان اقدم مقاربة طريفة بين المراسم العرائسية والمراسم الجنائزية

15 - الكسكسي...الحب الازلي :

دخلت ذات زيارة الى منزلنا بعد سنوات من الغياب..دخلت مطبخنا الصغير الذي لم يبق منه شيء كما عاهدته سابقا عندما كانت العائلة هنا...،

دخلت ذات مرة ولم يبق من كل شيء سوى بخار تلك الاكلة المقدسة داخل المطبخ الصغير...بخارا ظل عالقا هناك في المكان الذي يتصاعد فيه من على الموقد، عندما كنا ننتظر تمام طبخه...

اشتممت بقايا البهارات الشهية التي ما تزال هي كذلك عالقة في السقف، أين ظلت روحي عالقة معها ترقص مع البخار المتصاعد من الكسكاس الذي كان يملأ المكان. ان محبتي لاكله الكسكسي لا يمكن وصفها، وقد يكون سبب ذلك ان اول شيء اكلته بعد فطامي، كانت تلك الاكلة

اعرفه من رائحته ...من طريقة غليان سقوته...وحتى الاغاني التي كانت تغنى لتسهيل طبخته.... كانه كائن رباني رقيق ...الرقيق والفرخ والمتوسط والمغموم والمجبور...الحلو والحر ومنها ما يطبخ بالديك او بلحم الضأن او بالقديد اوالعصبان او"بالراس" راس الاغنام...ومنه المسفوف بالزبدة والتمور والزبيب والحليب والفواكه الجافة ما يقرب للبرزقان... وسيدهم ما يطبخ بلجم الاغنام "العلوش"كلحن شجي خبره وكعطر جورجيو ارماني رائحته وكجدارية ليوناردو منظره في قصعته.

لا يكفي ان يكون لك موقد وانية نحاس وكسكاس وقفلما يعطي التفرد في الكسكسي هو البراعة ويقال لها كذلك "النفس" بعبارة قريبة منا اليوم "الحب " لانك ان وفرت ذلك توفرت فرادة الكسكسي ومذاقه الاصيل...

ليس الطبخ علم او فن بل معرفة فعلية محلية "un savoir faire culinaire local" يجب ان يكون لديك سمن قديم وبجانب اصابعك " علبة الفلفل الاسود" ويجب ان تعرف كيف ومتى "تفرك الحبيبات بالسمن" وترش الفلفل الاكل" وتضع السقي والحمص واليقتين "القرع" واللحم

ان المواد المضافة اليوم التي نراها كالببيض المسلوق او الزبيب او الحلوى في الكسكس الحار او البطاطا او البصل الكامل تخرج به من دائرة الكسكسي الى اكلة اخرى لا اعرف اسمها...

لقد تعلم اجدادنا واباؤنا كيف ياكلون ما ينتجون ، فارضنا ارض حبوب وزراعات كبرى ومرعى للاغنام منتجة للالبان زيت وزيت الزيتون والبقول فان غاب احد هذه العناصر عن قصعة الكسكسي فان الامر اعرج لا يستقيم.

كانت النساء في بلدي زمن الشدة وقلة الصابة يطبخن كسكسي بالزيت والسكر فقط حتى يسد الرمق او بالقديد الذي لا ينضب من مائونة الحرة يبقى من الذ ما اكت اذا كان فيه الفول المدشش المجفف....

لا تزال كل تلك الاكلات بروائحها وبخارها المتصاعد عالقة هناك في بيت النار ..مطبخنا الصغير القديم وبعض من اواني النحاس التي كانت تملأ المكان رحم الله امي زبيدة وجدتايا مباركة وقمرة على ما تركاه من علم اصيل ومعرفة فعل "un savoir faire" اورثوه لاختواتي اللاتي زدن عليه من ابداعهن ما جعلنا نترك قصعة الكسكسي مساء يوم الخميس فارغة لا شيء فيها ...اما لماذا يوم الخميس بالذات فتلك قصة اخرى سارويها لكم ان عدت مرة اخرى الى مطبخنا الصغير يوما.

- الموروث الغنائي بجهة باجة : القصابة نموذجاً

الجزء الاول: محاولة في التاريخ الاجتماعي للقصابة:

يبدو ان موسيقى المجموعات الاجتماعية المحلية على شاكله القصابة يجب ان تفهم داخل أنساق الممارسات الثقافية وسلوك المجموعات التابعة لها لان تفسير الظواهر الموسيقية وتداخلها مع مجمل محاور الحياة العامة، وما يحوم حولها من دلالات ووظائف وخاصة من تمثلات نفسية وعاطفية كلها تقع داخل تلك البيئة الثقافية التي نشأت فيها ووجدت خاصة رواجها فيها

ان من اهم الأسئلة التي تطرح في مجال الموسيقى الشعبية وتاريخها هو التالي كيف التقى الانشاد الصوفي المحلي و"تشدد" او فلنقل "تدين" موسيقى الزوايا والطرق الصوفية مع الاغنية الشعبية مع موسيقاها وفاعليها؟ كيف اندمج هذا وذاك رغم الاختلافات التي تبلغ حد الصراع أحيانا؟

واظن -ونحن بصدد دراسة تقاليد شفوية- بان الاجابة الأكثر عقلانية لكل تلك المفارقات-هي البنية القرابية التي تتصف بها العلاقات على المستوى المحلي بمعنى ان الامتداد العائلي الدموي (عائلي او عروشي او قبلي...) يكون عادة له الدور الأساسي في تناسق الممارسات السوسيوثقافية داخل المجتمعات المحلية حتى تكون خالية من أي تناقض يهدد وحدة المجموعة لذلك فانه رغم اختلاف المقاصد في -مرحلة ما- بين أغراض القصابة واغراض الانشاد الصوفي بمناسبة الزردة وما شابه فان كليهما وجد أرضية مشتركة للعب على شاكله نوبة سيدي أبا زائدة " وحش قلبي " نفس طرق الأداء نفس الأدوات المستعملة ونفس الأصوات = نفس الذوات...."

ان افضلية المقاربة الانتروبولوجية للأعمال الموسيقية رغم ما قيل عنها من انها تخرجنا من الزاوية التقنية الفنية وتدخلنا مجال الثقافة -ان افضليتها تكمن في انها تضع كل تصور او منحى موسيقي في سياقه العام وهذا ما نحتاجه نحن اليوم في تعاملنا مع القصابة: (اهم رواد هذا التوجه هو الان مريام Alain. Meriam سبعينيات القرن السابق)

ماهي ظروف نشأتها ؟

لماذا تلك الأدوات دون غيرها؟ لماذا تلك المكونات " قصب/ جلود الماشية..؟"

أهمية القصيدة المغناة وبروز الكلمة على حساب اللحن؟
بروز مضامين دون أخرى (الشبقية المبالغ فيها أحيانا...)?
وخاصة من يمارس الموسيقى

الجزء الثاني: محاولة في التاريخ الاجتماعي للقصابة:

ماهي ظروف نشأتها ؟

لماذا تلك الأدوات دون غيرها؟ لماذا تلك المكونات " قصب/ جلود الماشية.."؟

أهمية القصيدة المغناة وبروز الكلمة على حساب اللحن؟
بروز مضامين دون أخرى (الشبقية المبالغ فيها أحيانا...)?
وخاصة من يمارس الموسيقى؟

وغيرها من الأسئلة التي لا يتيحها الا هذا النوع من المقاربات السياقية.

• ان ما يجب ان يجلب انتباه الباحث في هذا المجال وهذا النوع بالذات من الموسيقى المحلية هو انها بعد التأسيس أي بعد ان تفتك الاعتراف داخل المجال المراهن عليه او كما يحلو لبيار بورديو (P. Bourdieu) ان يسميه " الحقل - le champs " بعد التأسيس هو القدرة الفائقة لهذه الموسيقى على أداء الأدوار التعليمية والقدرة على حمل الخطاب الاجتماعي ومضامينه ورسائله المراد تبليغها – لذلك اضنني اعتقد في أهمية القصيدة او الكلمات في الأداء العام للقصابة. انها تحمل وتمرر جملة من القيم الاجتماعية بطريقة شجاعة وإبداعية ليس لها مثيل " كقولهم:

•ساس الرمل لا تعليه..يعلى ويطيح ساسه..... حكمة عامة مستشفة من تجربة اليومي le
quotidien

•او اللي ما قراش علاش يكتب فضاة الكذب

•يا خيرةالى ان يقول: خلخالك مشري بجمال: أهمية حلي المرأة وعلو مقام زينتها
ومهرها....

الجزء الثالث:محاولة في التاريخ الاجتماعي للقصابة:

يبدو ان التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية التي صاحبت بروز هذا الشكل الغنائي في مدينة
تبرسق هو ما قلنا عنه بانه "السياق العام" لان هذا الشكل الموسيقي الشعبي ليس مستجدا او

حكرا على المدينة وانما هو حركة جمعت - في لحظة تاريخية ما - بين عنصرين هامين أولهما: علاقة المدينة بمحيطها القريب والبعيد مع الآخر وثانيهما الإمكانات الذاتية او ما نسميه عادة الابداع الذاتي. فعلاقة "القصبة" بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تحدث بالمجال الجغرافي لها، لم تكن علاقة مباشرة والية كما يعتقد البعض ولكن يمكن الحديث على ان النمط الإنتاجي المحلي الذي يعتمد في اقله على الفلاحة واساسا على الزراعات الكبرى وكذلك بنشاط تربية الماشية وبعض الحرف (لا تخفى العلاقة الرمزية بين الراعي والة القصبة وكذلك جلد الماشية (ماعز) في تايث الة البندير والطبلة (واهمية توافد اليد العاملة البدوية (الرحالة) " الهطاية" القادمة من الوسط والجنوب الغربيين في مواسم الحصيد وما تجلبه هذه المجموعات معها من تقاليد غنائية بدوية لا تخفى أهميتها، كلها ساهمت في تطوير هذا المنشد لحنا وكلمة وأدواتا ولكن كذلك وبصفة اهم من زاوية القيم والمعايير الاجتماعية (وهو ما لم ينتبه له عديد من الدارسين والملاحظين).

فاستعمال القصبة كما قلنا ليس جديد ولا هو بمستحدث ولكن يمكن الحديث عن نمط حرفي خاص في نحت الة القصبة وبالتالي نمط غنائي لحني خاص بمدينة تبرزق، وما يمكن الإشارة اليه هو أهمية ثقافة "الجنان " الحقول الزراعية المتاخمة للمدينة وكذلك كثرة تفرعات الاودية في الفضاء الجغرافي المحيط اذ انه لا يخفى ان عود القصب يكثر على ضفاف الاودية، حيث شكلت كلها بيئة مؤاتية لاستلهم تصنيع القصبة بذلك الشكل بالذات (اصغر من القصبة الجزائرية واكبر من البلدية)

كما يمكن اعتبار ان العلاقات التجارية والاجتماعية مع القطر الجزائري كعلاقات النسب والمبادلات وغيرها شكلت كذلك عنصرا مهما في تطوير هذه الممارسة نظرا للإرث الكبير الذي يتمتع به الجزائريون في هذا المجال.

الجزء الرابع: محاولة في التاريخ الاجتماعي للقصبة:

ان التعبير الفنية في مثالنا الحالي لا يمكن فهمها الا داخل اطارها العام بمعنى داخل ديناميكية المجتمع المحلي التي هي نتاج له . فعلى مدى حوالي قرن من الزمن شهدت المدينة وحتى محيطها الاقليمي والوطني عديد من الهزات الاجتماعية والاقتصادية على غرار سنوات الجفاف باعتبار ان محور الاقتصاد المحلي يقوم على الموارد الفلاحية وما يمكن ان

تخلفه من تفقر وانكماش تصل الى حدود مظاهر الصراع العشائري او العائلي (احداث الغورة من طرف الهطاية (..فمن تاثير الصراع الباشي البايوي وكذلك وقع الحروب (الأولى والثانية) وصولا الى احداث الاحتلال والاستقلال وغيرها.... كل هذه الهزات وحتى الأقل منها أهمية نجد لها صدى داخل النص المغنى في القصابة (...)) في التشابيه اوحتى في سرد الاحداث المهمة والتاريخية في علاقة بقصص الغرام مثلا (...)) ولكني لا استبعد كذلك تأثيرها حتى على الطابع الموسيقي لحنا وايقاعا.

-ان موقع القصابة من كل المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية يتم تناوله في تقديري (تصور شخصي اتحمل انا وحدي مسؤوليته (من الزاوية التالية : برهنت القصابة على نجاحها التام من حيث اندماجها في كل احداث المجتمع المحلي بل قل في اكثرها أهمية وحميمية: افراحه وشعائره واحتفالاته العائلية وشبه العشائرية وتبرز اهم ملامح التأصل في سلوك الفاعلين كذلك حيث يتقن أبناء البلد غناء القصابة ويحفظون اجملها ويجيدون التغني بها حتى ان بعض الارتجالات في المحافل يقوم بها افراد من الحضور مستعينا بمغنيي القصابة بل ابلغ من ذلك ومن ضمن التحولات التي شهدتها القصابة هي انها اصبحت "ما يشبه البوابة " للاندماج داخل المجتمع المحلي حيث ان اتقانها هو خطوة مهمة باتجاه المتوقع في العلاقات الاجتماعية الداخلية للمدينة وكأنها أصبحت جزء من سور المدينة المنيع الذي يصد المتطفلين وغير الجديين من التغلغل داخل المدينة . ان القصابة جزء من "un systeme" متناسقة ، يتعاطى كل اجزئها مع بعضهم البعض بكل تناسق من اجل ضمان ديمومة ذلك النظام l'ordre déjà établi او عدم تعكير صفوه.

وان تداعي هذا النظام التقليدي بكل مكوناته وتهاويه منذ زمن غير بعيد حوالي 3 الى 6 عقود من الزمن (رغم ان بعض الأجزاء لا تزال تحافظ على وجودها) وانفلات التقاليد الموسيقية المبنية داخله يبدو لي انه من اهم أسباب تراجع هذا النمط "القصابة" فهجرة الشبان او سيطرة أنماط موسيقية جديدة على الذوق العام هي نفسها ظواهر و متغيرات ناتجة عن واقع اكثر شمولاً وتراجع لنسقية مجتمع كلي لم يعد جذابا ولا ذا مردودية لشبابه.

الجزء الخامس : محاولة في التاريخ الاجتماعي للقصابة.

قلنا في الأجزاء الأربعة السابقة ان القصابة هي احد مكونات المشهد الثقافي للمجتمع المحلي هي كانت في ترابط و تناسق غير مباشرين مع مختلف مكوناته ولكني اطرح على نفسي دائما سؤال مهم: هل من الممكن ان تتلاشى عديد مظاهر الثقافة التقليدية في الوقت الذي تصمد فيه اجزاء اخرى كاغانيتها... ألحانها... كلماتها... حنين الناس لها؟

قد يفاجئك القول بأن شاعرية كلمات القصابة تظاهي واحيانا تتفوق على اجمل قصائد الشعر الموزون والحر.. ان الصورة التي ترسمها تتجاوز السرد المبسط في الشعر الشعبي لتجرح عاليا بتشابهه ورسوم اسطورية في الإبداع تدغدغ في السامع السميع اعماقه الصامتة وتتناول مواضيع يمنع النقاش فيها علنا فانظر اذا ماذا تقول اغنيتها:

إللى ما قراش علاش يكتب **يفسد حبار الدوايا

واللى ما حبش علاش يكذب **يفسد عرض الولايا

او قولهم:

وانا مريض بالاوهام... ما لقيتش طبيب يداويني... نطلب ع ربي يشفيني.

كل هذه الصور والتعابير لا تتضمن فقط الشاعرية وبلاغة الصورة وانما كذلك ضروب الحكمة والنصيحة... خارطة طريق للسلوك، ولكن ليس بصيغة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا بصيغة التسيير ولكن بشغف التخبير،

كل ذلك تسانده سرديّة متناسقة و وموزونة ونغمات اقرب للبساطة وللطبيعة الغناء فالطالع يذكرنا يذكرنا باللون الريفي الجبلي بغير ايقاع تهتز له حناجر اقوى من صوت الرعد و احن من صوت الحسون... متبعنا القالب التقليدي موال وطالع ثم دخول بايقاع بطيء يتسارع مع كل مفصل غنائي قد يبدا بمعاني ونغمات حزينة وينتهي بايقاع راقص شادي.

الامر قد يبدو عاديا ولكن صوت القصة وزفيرها المتوهج قد يحدث في ذاكرتك رجة تعيدك الى انسانيتك الخالصة ويلحق بها لمسات ايقاع البندير المسوى بخيطين متوازيين في داخله تنهي ما كان فيك من جديات كل يوم وينزع عنك مقاومة الحب والرقص والشدو الجميل كل هذا قد يجعلك ترتكب حماقة ولكن حماقة متسلطنة وموزونة بايقاع الدف الملزم... حذاري فلم ننتهي بعد...

القصابة يا سادتي قصة حب بسيطة وجميلة... احدهم وفي مسامرات عائلية مسائية صرخ
بصوته النسائي عاليا وغنى " ذبال العين " من فرط وجعه لقصة عشقه الحقيقة استشعرها
فصاح بطالع فقال:

اللطف ما اطول شعرها والطول ما لوش حدادة....

او:

يا ليتني مت بكري ولا قعدتي للهواين

طول الليالي نخم ... وعمرى وفا في المحاين

اه لشكون نشكى بدايا نشكى لربي حنيني هو يبيري وجايا

وعلاش علاش ها غزيلة ... ها رجالة نرمل الكاس و نزيده.

ثم غنى وغنو معه فابهر من فرط تلقائيته وقريحته:

جات راشقة النواش يا تبر ناسك ضاموني

او :

ذبال العين ... بعذابك هدوني هدة.

بعد اللي صار.. واشي الحيا بعد الذلة.

واقفل راجعا الى الايقاع الراقص:

يا زينة يا زينة لو هز حرامك خلي بيان وشامك

او :

يا خيرا ماو داك بيا سوق الخميس حرموه عليا

ساقول اجابة عن سؤالي الاول : ان صمود هذا اللون بعد اندثار مجاله الموضوعي سببه

تلقائية النص وانسانيته وقرب القلب الايقاعي والموسيقي من الطبيعة والاكثر من كل ذلك

انه تعبيرة صادقة عن تجارب حب وعشق حارقة .. مميطة .. جميلة .. انسانية وخاصة صادقة .

- ليلة القُرش:

هي ليلة من ليالي رمضان.. هي الليلة السابعة والعشرين او هي ليلة الإسراء والمعراج... هي

ما اصطلح على تسميتها بالمنطوق الشعبي "ليلة القُرش" هكذا بالقاف ثلاثية التنقيط وقد

يكون اصل الكلمة هو ليلة العرش او شئ من هذا القبيل. لم ابحت في الامر ولكن ليس مهما.

فهي تستقل بمعنى الموسم ... هي موسم بطمها وطميمها... حتى ان بلاد المغرب يفتحون فطرهم ليلتها على اكلتهم الشهيرة " الكسكي " يقيمون موسم فرح كالخطوبة او الملاك و أمور أخرى...تماما كالعيد...فالناس يتعايدون فيها.

الفرش حكاية كبيرة لا يمكن لاسطر قليلة ان تأتي عليها...

ففي اول عهدنا بالحكاية قيل لنا انه يمكن أن تفتح لنا أبواب العرش وتقبل دعواتنا...أمنياتنا...ولكن كل السر اننا لا نعرف متى تفتح تلك الابواب ...فبتنا ليلتنا نطلب الثراء

خفية والي الان لم تُستجب دعواتنا...ف قيل انه لا تقبل الا ممن كان طاهرا طيبا انتظرنا رمضان اخر وتتطهرنا وكل ما يلزم للدعاء وبتنا ليلتنا نطلب ونتمنى ...ثم قيل إنه الحظ فلا تدري متى تفتح ابواب العرش وانتظرنا رمضان اخر..و ما نمنا ولم يرقد لنا جفن وملانا الدنيا طلبا ودعاء وتوبى لمن تحققت امنيته ولكني تعلمت على كل. بأن الفرش لا يمكن أن تنطق بالقاف المقلقة وهي موسم نتعلم منه الرجاء الذي تكون نقطته تحت الحاء وليست فوقها فقط لأن الرخاء لا يكون الا بالعمل وليس بالرجاء .

- مساء الخميس وشقالة الكسكي واسطورة الاجداد:

كانت امي ككل امهات اترابي الذين يقطنون ازقة المدينة العتيقة، يرغمنا كل مساء خميس على حمل " شقالة الكسكي " الى الزوايا القريبة، كان امرا قاهرا لانك وانت تستنشق روائح الكسكي تفوح من فوهة الكسكاس لا تكاد تبرح المكان حتى تتذوق بعضا منه ولو لبرهه. ولكن هيهات فقبل ان ياكل احدا يتوجب عليه ان يوصل تلك الامانة الى من يقطنون الزوايا ...اذكر جيدا بعضهم.. وخاصة تلك العجوز الطيبة التي تعيش منفردة في ذلك الدهليز المخيف. انت ..لن تخول لك نفسك ان تكشف عن تلك الامانة وترفع عنها الغطاء وانت تحملها لصاحبها فمساء الخميس ...مساء مبارك لانه يفتح على يوم الجمعة... شقالة الكسكي تلك ..وانت واهبها...اصبحت ملك لسيدي فلان او للا فلانة وهم عن ذلك اولياء صالحون وصالحات لن تسمح لنفسك تجاوز ذلك المقدس فستلحقك اللعنة ... اليوم وانا في مساء الخميس افكر في تفاصيل الامس تفاصيل... القفلة في محزم المقول واتذكر "لحمة كتف الخروف ومن سيدها، وملعة اللوح من "السمن" لتفريك حبوب الكسكيحبة. حبة ...

اتذكر مسحة ذلك الزيت الاحمر الذي يقره المقفول في اخر الطبخ "الايدام " لتغيير لون النعمة ثم السقي بالمغرب... ثم توضع حبات الحمصفالخضر في فصل الخرشف او الفول الاخضر في الربيع ولا يغادر "القرع" اخضرا كان ام احمر اكلتنا التي نتحدث عنها.. ثم توضع قطع اللحم في "الشقالة كدرر الياقوت وتنتهي المشقة بتنظيف اطراف الابناء الفخاري ..تفاصيل كثير لن انساها.... لن انسى ابدا ذلك البخار المتصاعد من على "الشقالة " الخاصة بابي كانت تخصص له واحدة دوننا بتأثير فيه كثير من الدقة مخافة انزلاق شعرة الراس فيها وتوضع على كانون خافت في نهاية لهيب النار حتى " يبقى على حرارته لموعد عودة لم يكن ابدا محددا..

بعيدا عن معابد التاريخ والجغرافيا والتحاليل المزركشة ...الكسكسي يا سادتي تراث طهي وتقليد اكل وحد عائلتنا ووحد مدينتنا منذ زمن بعيد ...منذ ان كان اجدادي ياكلون ما ينتجون كل يوم خميس تصطف الرجال صباحا لاقتناء لحم الخروف وتصطف النساء مساءا لطهي الكسكسي وتصطف الابناء لايعصال شقالة الكسكسي لاولياء المدينة الصالحين والصالحات اولئك الذين نسميهم اليوم "الفقرة" بالمعنى الصوفي للكلمة....

قبل أن يبدأ معظم الناس في الإنتاج الصناعي للمعجنات بكافة أنواعها المعروضة اليوم في أسواقنا ...وقبل تحررنا من وصاية المواسم والمناخات، وقبل أن تتلاشى أذواقنا الوراثة الفطرية وقبل ان تتعولم شهيتنا ، طويلا مادبنا على استهلاك ما أنتجناه ، بقينا اوفياء لنظام غذائي لمئات السنين اندثر او يكاد اليوم.... ، لآلاف السنين ، ظللنا اوفياء لأصولنا البربرية المتوسطة.

وبعد هذا ؟ لماذا الكسكسي ؟ ولماذا يوم الخميس بالذات ؟ انها اسئلة مشابهة لتلك التي نطرحها لماذا كنا نقيم افراح العرس والختان وغيرها في الصيف ؟ لن اجيب عن هذه الاسئلة لابقى قليلا من سر جمالية تراث الطهي وتقاليده ...بعضا من اسطورية وعمق تقاليد مدينتي.

- تبرسقى...والزيت...والزيتون

كانت الصبايا في مدينتي قديما عندما يقبلن على الزواج يأتي بهن إلى حقول الزيتون فتختار العروس شجرة زيتون بعينها تمسك على جذعها وتطلب منها أن تمنحها بركة الخصوبة وحسن الضنى. ليس هذا فقط بل انه عند مواسم الجني و قبل وضع حبات الزيتون في

الـ"قرقية" اي قبل عملية العصر تمررن النساء بأيديهن على الأكياس حتى تدر المزيد من الزيت لأن المرأة كما الزيتون رمز للعطاء هذا ما ترويه قصص الاولين في مدينتي تبرسق قد يبدو ذلك غريبا ولكن الزيتون هناك تقطن الجبل والسهل ولها اصول بربرية وقرطاجية و رومانية، وعلى كل نحن لا نعلم متى زرع الأجداد زياتينهم القديمة وكل ما عرفناه ان غياب الشجرة كما غياب زيتها كما غياب حبة القمح في المنزل شر وظلام حالك لذلك اقول دائما ان تبرسق هي هبة مروج الحبوب وغابات الزيتون وعيون الماء المتدفقة ان ما صنع المدينة وجعلها تحافظ على وجودها على الرغم ما مرت به في تاريخها من ماسي ومحن هو ثروة وعطاء ريفها الاغر .

قد لا نعرف للقصص بدايات ولكننا نعرف اجزاء الحكاية وان كانت ناقصة . نعم تبدأ القصة بذلك المكان اطرف الحصن البيزنطي وفيه تختزل المعصرة من تقرقيب وتصفية العجين

وتقنيات استخراج الزيت بالماء الساخن وغيرها الى ان ياتي الزيت في اجل مضاهره واوله "زيت النضوح ." ان مشقة استخراج الزيت بالطرق التقليدية تغني عن كل سؤال، عن اهمية وغلاوة هذه المادة الجميلة الذهبية اللون. يسبق كل هذا اعراس الجني، جني حبة الزيتون حدث سنوي لا يضاهيه الا "الحصيدة " او "فرعة العروسات" لما يدخله من بهجة و حركية في تقسيم الاعمال واستبشار واحتفال لانه ان سالت الزيوت فقد عمرت البيوت او القمح والزيت عمار البيت فالكل ياكل والكل يضيء ظلامه لذلك فان جمال المدينة هو من وفرة منتوجها فمع الوفرة تنزين الجغرافيا كما ان جمال صبايا المدينة من نقاوة زيت الزيتون "الشتوي " خاصة تلك البقاع " يكاد زيتها يضيء" كما جاء في الكتاب المقدس، فتتلالا بنوره الوجوه كما المصابيح.

في مجتمع المدينة على عهد ما قبل الحداثة لن يفيدك ان تعرف من الغني ومن الفقير في بلدي فقط عليك ان تعرف من قل زيتيه ومن كثر ومن يتبرك بهباته في السر دون العلن . كنت على حداثة سني احرص على ان امر بجانب معصرة "كاسار" تلك المعصرة نصف التقليدية لاستنشق تلك الرائحة الازلية التي تفوح من الشوامي عند عصر الزيت حاملا معي

"قرصة خبز الخميرة" لانقعه في سائل الذهب ذاك مستانسا بترديد ذلك البيت البديع لمحمود درويش : لو يذكر الزيتون غارسه... لتحوّل الزيت إلى دمع.

- الحمام القديم بين وظيفيّة الفضاء ورمزية المعاني:

في عالم المعمار وفنه وعلمه وتقاليده، ليس هناك شيء او انجاز او بناء فارغ من المعنى او محايد.. حتى وان لم يقصد به شيء فاتجاه الجدران والابواب والنوافذ ووضعية الشرفات والسياجات وغيرها بالإضافة إلى وظيفتها كلها حمّالة للمعاني وهي بالتأكيد ليست محايدة... هناك دائما اتجاه ما او تغيير مفاجيء او باب حديدي او " برمقلي" تحمل معنى فردي وتاريخي في الان نفسه... نحن لسنا بحاجة الى تفسير لرواج الابواب الحديدية في زمننا هذا على خلاف الحقب الفائتة . وحديثي هنا قياس بالنسبة لمعمار الحمام القديم بالمدينة ...لقد سلكت دروبه كلها وقاربت اهم منشاته الداخلية والخارجية واشباهه في المدن العتيقة المجاورة...ولكن ظل دائما امر ما يستهويني ويشعل فينا نار الحيرة و سؤال المعني...

المدخل؟ ... نعم....مدخل الحمام انه لحظة معمارية فريدة وفارقة لانها على غير العادة،... انحدار عبر السلم الحجري المغطى اليوم بالجليز كما تبرزه الصورة،.... وهي صفة مستبطنة عند رواده وبسيطة الى درجة انه لم تطرح تساؤلا قط ؟

ان المسلك المؤدي في المدخل من مستوى الشارع الى باحة الحمام الاولى "البيت الباردة" تم بناؤها نزولا، فنحن ندخل حمام القديم بالمدينة العتيقة عبر المدارج les escaliers نزولا وهو امر يحتمل معاني يجب التوقف عندها لانه قد يحمل او نحمله نحن معنى ربما او على الارجح انه لم يكن امرا واعيا لمن اقامو بناءنا هذا ؟...

ولاننا نعتبر مثل هذا الاستثناء المعماري فيه عمق ومعاني تجد صداها في المخيال الجماعي فاننا سنركز على استبيانه.

لقد اعتاد المخيال على امر ما كما يقال "من المنحدرات نصد و إلى الهاوية نندفع " اعتدنا نصد وفي الصعود مجد ولا نتحدث كثيرا عن النزول... فكيف والامر هنا مختلف؟ يبدو الفاصل المؤدي عبر السلم الحجري كانه باتجاه دهليز او زاوية مجهولة تماما....

ان موقع الحمام هو في قلب المدينة وقلب الحركة في السوق ويأتي امامه مباشرة باب المسجد المعروف باسم "الجامع الصغير" وهذه ربما تكون من الاهداف المباشرة للانحدار

المقصود ومنها التخفي والاحتشام وينضاف اليها الطابع المرفولوجي التركيبية الطبيعية الجغرافية للمنطقة فهيا كلها منحدر مما يضطر البنائين الى التعامل مع هذه الوضعية بشكل فيه كثير من الإبداعية. في المرتبة الثانية تبرز مسالة صحية صرفة وهي في علاقة بالبرودة الشديدة في الشتاء ولكن كذلك بهبوب الشهيلي في فصل الحرارة وحتى يحافظ الحمام على توازنه الداخلي لهذين المعطين الطبيعيين فان خطة " الدهلزة" الدهليز هي امر معروف حتى في المنازل بالمدينة نفسها فدهاليزها تقريبا تخضع لنفس الحيلة المعمارية وهي حيلة ذكيرة تعبر عن عبقرية السابقين في التعامل مع معطين متناقضين في الطقس في منطقة واحدة. المعطى الثالث هو في علاقة برمزية النزول والصعود.. ان نعرف أونتعرف او نستكشف الاخر : إنها بالفعل مسالة ا تتوسع داخل ومن خلال "الدروج" متسعة في أول المدخل وتضيق شديد الضيق في المدخل السفلي.

الدروج او السلم هي انتقال من فضاء إلى آخر من

3- عادات وطقوس الاحتفال في المناسبات الفلاحية بجهة باجة وأحوازها

* سيرا وبرودة:

قديمًا، وفي كل عام، وعندما يصل موسم الحصاد في فريضة الى ذروته ويشارف على نهاياته المتكررة ابديا، لا ينتهي الموسم هكذا بانتهاء العمل بل يوشح بالأغاني والتفرغ للحب بعد أن "حضرت الصابة" وبعد ان بانث الثمرة التي "تصعب على الكيالة" و"لا فيها سوس ولا نخالة"، عندها تختلط حناجر السكان، اصيلي "البلاد"، باصوات الهطاية ينشدون اغاني بكلمات والحن جريئة في منتهى الحب والطرب ابدعها ابائهم وامهاتهم من تجاربهم الحقيقية التي عاشوها وجعلوا منها قصة ليست اقل شاعرية ودرامية مما يكتبه العملاقة ويقول طالع احدها:

وحش السرا و بروده...

يا ولفتي...

وحش السرا و بروده، يا من عزم شرف على قمودة.

هو تدليل منهم على ما تفيضه فيهم هاته الارض من احاسيس مختلطة تتكون عندهم ، من ألم فرقة الاهل و الأقارب الى آجال غير معلومة و ربما بدون عودة-فمنهم من يعجبه المقام اذا دخل في خدمة أحد الفلاحين أو دور الاترياء منهم، و فضل البقاء على العودة- أو هي كذلك تعبير عن حب تلك الأرض لما اعطته وتعطيه لهم كل موسم من اسباب البقاء ، والهطاية هم عائلات قبائل الجنوب والوسط الذين ارتحلوا نحو فريضة للمساهمة في الحصاد والبستنة وتأجير ما يبقى في الحقول لرعي قطعان الغنم واشياء اخرى،

ورحلة الهطاية كانت رحلة شتاء وصيف، ففي الشتاء تكون الوجهة الى الساحل أو كما يعرف قديما " ببر الساحل " بما في ذلك بر صفاقس والقيروان وهي ارض زيتون و غلال يقصدونها للعمل والقوت.

ورحلة وهي التي تهمنا، في الربيع وبدايات الصيف تكون فيها وجهة الهطاية الى "وطن فريضة" كما ياتي في منطوقهم انذاك وربما الى اليوم وهو الشمال الغربي عموما ، حيث يتم

حصاد القمح و الشعير والطايعه والقطنية وغيره. ولذلك وهو من خصوصياتنا فاننا نلقبهم بالصيافة اما بقية التسميات فهي مشتركة كالعشاره وغيرها.

سمعنا اغاني فيها تقال كلمات كتلك التي صاغها المراحل من الهطاية والهان ومشاعر لا يعلمها الا من عايشها او من رحبت مخيلته ليعيشها في وحدته وظلت متواترة محفوظة في التراث الشفوي الشعبي كتلك التي اشرنا الى طالعها:

وحش السرا و بروده

يا ولفتي

وحش السرا و بروده، يا من عزم شرف على قموده

وحش السرا وبروده:

لوكان جاء الغريب يوطن

يا ولفتي

لوكان جاء الغريب يوطن، صدري عل صدرك بالحرير مبطن

لوكان جاء الغريب موالف

يا ولفتي

لوكان جاء الغريب موالف، صدري عل صدرك كي الحرير مخالف

وارحي الرحي وارتاحي

يا ولفتي

وارحي الرحي وارتاحي، عقب الليل اتسلهي وارتاحي

وارحي الرحي بالرنة

يا ولفتي

ارحي الرحي بالرنة، وعقب الليل نحي حرامك والخلة

لن اقول اكثر مما قالته هذه القصيدة ...لن اقول معنى "السرا والسروات" ولا بردها في عز ليل الصيف ولا معنى التوطن والغربة فهذه اناس جاءت او جيء بها ضرورة العيش فعشقت بعد ذلك المكان واحبت من فيه فكما غنت رجالهم بوحش السرا غنت نساؤهم بـ

"

يا لاني لا يا ومبعد برو...

ما ابعء بلادي على بلادو ...

توحشتو من وسط اندادو

تلك كانت قصة اندثرت ومضت ولن تعود ... تلك كانت نمط حياة ورحلة ابدية او هكذا ظن
من عاشها انذاك ولكن هيهات فقد تغير زمن الرحلات ... والهطاية والصيفات

خاتمة الفصل